كلية التربية

علم نفس النمو

السنة الثانية

المحاضرة
١+٢+٣+٤

الدكتورة
دارين رمضان

العام الدراسي: ٢٠١٩/٢٠٢٠م

الفصل الأول

مدخل إلى علم نفس النمو

1-1 نشأة علم نفس النمو وتطويره :

الإنسان ؛ ذلك الكائن المعقد ، الذي يحتاج إلى دراسة ، وتفكر ، وتعمق في شخصيته ، هو محور الكون ، وهو يمر في مراحل متعددة من العمر منذ أن يولد إلى أن تنتهي حياته ، فكان لا بد من دراسة تخصص لأهم مخلوق على وجه الأرض ؛ لا سيما وأننا إذا تتبعنا نشأة العلوم وتطورها نجد أن معظمها قد استقر مشكلاً جزءاً من تراث الإنسان الثقافي ، بينما العلوم المتعلقة بالتكوين البشري تحديداً لم تحظ بمثل هذا الاهتمام إلا مؤخراً ، فقد عنيت بما يحيط بالإنسان ، ويخدمه ، ويؤثر فيه ، من دون أن تعنى بنموه ، وسلوكه ، وتطوره .

وهذا لا يعني أن الإنسان لم يفكر في ذاته ، ولم يتأمل في الطبيعة البشرية ، فمن يعد بعض الإشارات في الصفة اليونانية ، وذلك عندما يشير أفلاطون إلى أهمية التعليم في المراحل العمرية المبكرة عند الطفل ، وأثره في إعداده المستقبلي ليتكيف مع واقعه كما نجد إشارات في كتابه [الجمهورية] إلى فروق بين الأفراد تتأتى من الناحية الوراثية وتؤثر في شخصيته وكذلك عني القرآن الكريم بالإنسان عناية فائقة ، فكان كل ما فيه لمصلحة هذا الإنسان ، واعتنى به منذ ولادته حتى ارتداده إلى أرذل العمر ، وأشار إلى طبيعة خلقه ، فقال تعالى: ((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (14)))

سورة (المؤمنون) / الآيات 12- 13-14

كما وضح القرآن هذه المراحل في غير موضع ، وأضاف إليها المراحل التي يمر بها الإنسان بعد الولادة إلى أن يصل إلى مرحلة الطفولة الثانية في شيخوخته عندما يعود بحاجة إلى من حوله كما كان صغيراً ، وذلك في قوله تعالى : سورة الحج / الآية 5

((يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم ما بعد علم شيئاً)) .

وبدأ علماء النفس يشيرون إلى موضوعات تتعلق بأهمية تكوين عادات معينة عند الطفل تتوافق مع بيئته الاجتماعية المحيطة به، وتنبيهه إلى الابتعاد عن عادات لا تتوافق مع هذه البيئة ، ومنهم جون لوك في القرن السابع عشر ؛ ليتبعه جيجون جاك روسو في القرن الثامن عشر ، والذي أكد أهمية إعطاء الطفل قدراً من الحرية التي تسمح بإبراز مواهبه وميوله الفطرية، فنادى بتعليم الطفل في الطبيعة ؛ وذلك للابتعاد عن أجواء المدرسة التي قد تحد من حريته وانطلاقته .

وأتى بعده فروبل مؤسس رياض الأطفال . وقد ألف كتاباً حول تربية الإنسان، وسجل ملاحظاته حول سلوك الأطفال في البيت والمدرسة ضمن مراحل عمرية مختلفة ليلاحظ ما يطرأ على سلوك الطفل من تطوير يترافق مع تطوره العمري .

وتبعه جيزيل الذي ألف كتاب عقل الطفل عام 1982 ووضح فيه الأفعال المنعكسة للطفولة منذ مرحلة الميلاد مروراً بالمراحل المختلفة من نمو الانسان. إلا أن الدراسات العلمية الدقيقة لهذا العلم لم تنشأ قبل بداية القرن العشرين ، وقد تطورت في هذا القرن تطوراً كبيراً ملحوظاً ، معتمدة على الدراسات التتبعية التعبيرية ، والسيرة الذاتية ، والدراسات الإحصائية .....

وكان من أهم هذه الدراسات ما قام به بياجيه ، الذي اهتم بالنمو اللغوي عند الأطفال لمعرفة كيفية زيادة المفردات اللغوية لديهم ، وتركيب الجمل ، ونطق الكلمات ،

وترافق زيادة الموروث اللغوي مع التطور الزمني عند الطفل ، إضافة إلى دراسة مراحل النمو العقلي المعرفي الذي حددها ضمن أربع مراحل هي :

1- من الولادة حتى السنة الثانية تسمى مرحلة النمو الحسي – الحركي

2- من السنة الثانية حتى السابعة تسمى مرحلة ما قبل العمليات

3- من السنة السابعة حتى الثانية عشرة تسمى مرحلة العمليات العينية والمحسوسة

4- من المرحلة الثانيةعشرة حتى الخامسة عشرة ، وعدليا إلى العشرين ، وتسمى مرحلة العمليات الشكلية.

وكان لدراسته هذه أثر في الدراسات التالية له ، والتي اعتمدت اعتماداً كبيراً على دراسته ، وأضافت إليها ، وطورت فيها.

وحديثا لم يعد علم النفس هو الذي يهتم بالإنسان بمفرده ، وإنما أخذ علماء النفس يتشاورون مع علماء آخرين في مجالات علمية تخصصيه أخرى ؛ شعوراً بأن علم النفس قاصر عن الإحاطة بالنفس البشرية بمفرده وأن مركز التفكير في الإنسان يكون في الدماغ ، والدماغ هو مركز الجملة العصبية ، وأن هناك جدلية بين الذكاء والتذكر والتعلم والتفكير وكل ذلك يتم في الدماغ الذي يشكل نقطة تقاطع بين علماء من اختصاصات مختلفة .

وما يؤكد كلامنا وجود نفر من علماء النفس البارزين كانوا من ذوي تخصصات علمية غير نفسية مثل فرويد الذي كان طبيباً ، وبياجيه الذي كان متخصصاً في علم البيولوجيا ، وبافلوف الذي كان متخصصاً في علم الفسيولوجيا ،وغيرهم .

لذا فإن دراسة النمو الإنساني تحتاج إلى مزيج من الدراسات المختلفة؛ وذلك لتتكامل لدينا المعرفة المعمقة إلى حد بعيد بهذا الكائن المعقد .

1-2- أهمية دراسة الأسس النفسية للنمو في الطفولة المبكرة :

تنعكس دراسة الأسس النفسية للنمو في الطفولة المبكرة على كل المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان من الطفولة إلى المراهقة فالشباب فالشيخوخة ، كما أن أهمية هذه الدراسة تتضح عند شرائح مختلفة ، وذلك عند :

1-2-1-الآباء والأمهات :

هذه الدراسة تفيد الوالدين في تفهم مراحل نمو الاطفال ، وكيف يتعاملون معهم في مرحلة الطفولة على أسس سليمة ؛ من توفير البيئة المناسبة لنموهم ، والاعتدال في تربيتهم من دون تسلط زائد أو تسامح مفرط ، ومعرفة المراحل الحرجة التي ينتقل اليها الطفل عند المراهقة ، ومعرفة كيفية التعامل معه ، فكل مرحلة – حسب قانون النمو – لها سماتها الخاصة ، ومظاهرها المميزة ؛ ومن ثم فإن معرفة الوالدين بحيثياتها تعينهما على كيفية التعامل مع الطفل جيداً .

إضافة إلى أن هذه المعرفة تعينهما على توجيه الأبناء حسب قدراتهم الجسمية والعقلية المتوافقة مع ميولهم ورغباتهم ، فلا يعامل كل الأطفال معاملة واحدة في مختلف الاعمار .

كما أن عليهم مراعاة عدم تكليفهم بمهام صعبة يعجزون عنها و تشعرهم بالإخفاق والإحباط في مراحل مبكرة من عمرهم .

ولها أهمية أخرى في توعية الوالدين صحياً ؛ مثل الأمراض الوراثية في العائلة ، وعدم التعرض للأشعة في أثناء الحمل ، والابتعاد عن شرب الكحول والتدخين ، والمخدرات ، وتلافي تزاوج الأقارب ، وتجنب الضغوط النفسية في الحمل

---

* ملخص عن (د. العواملة ، حابس و د. مزاهرة أيمن / سيكولوجية الطفل علم نفس النمو / ص 16-17-18 و د. خليفة ، إيناس / مراحل النمو : تطوره ورعايته / ص 12-13-14/ و د. عريفج ، سامي / علم النفس التطوري / 11-12-13/ .

كل ذلك له تأثيره في الطفل ، وهذا التأثير يرافقه مع مراحل عمره المختلفة ودراسة مراحل النمو المختلفة نجد زمن مشي الطفل ، ونطقه بالكلمات الأولى ، وقدرته على استيعاب العمليات العقلية وتطورها مثل : (التفكير – التخيل – الإنتباه) مما ينبه الوالدين إلى وجود خلل في حال عدم مرور الطفل في هذه المراحل ، أو افتقاده لها ، أو قصوره عنها ، وذلك ليعرف الآباء والأمهات كيفية التعامل مع طفلهم ، ومحاولة تنمية جوانب النقص لديه حتى ينمو سليما .

إضافة إلى معرفة التناسب بين طول الطفل وتناسبه مع وزنه وعمره مما يعطي مؤشرات سلبية في حال عدم انسجامه ، وإيجابية في حال انسجامه فيطمئن الأهل إلى سلامة طفلهم من خلال معرفتهم .

وربما نكون قد أسهبنا في الحديث عن أهمية هذا العلم عند الأسرة ، ولكن الأسرة هي النواة الأساسية التي ينطلق منها الطفل ؛ فإذا كانت النواة سليمة صلحت الثمرة .

1-2-2-المربون :

وهم الذين يستفيدون منها في معرفة العوامل التي تؤثر في نمو الأطفال والمراهقين وفي أساليب سلوكهم ، وانسجامهم مع الوسط المحيط بهم ، وإعداد المناهج التربوية والتعليمية المتوافقة معهم ومع مستوى نضجهم ، واستعدادهم للعملية التعليمية وطرق تفكيرهم ، وقدرتهم على التحصيل .

كما أن المدرس يستطيع أن يميز الفروق الفردية بين التلاميذ ؛ وذلك عندما يستفيد من علم نفس النمو الذي يركز على هذه الأمور ، ويشير إلى أن كل فرد ينمو بطريقة وأسلوب خاص به ؛ كما يختلف كل فرد في سرعة نموه من الناحية الكمية والكيفية ، وهذه القوانين قد تنطبق إلى حد كبير على شريحة متكررة من الطلاب في العمر الواحد تقريبا ، وهذا ما يعينه على اختيار المادة التعليمية المتوافقة مع سيكولوجية الطفل .

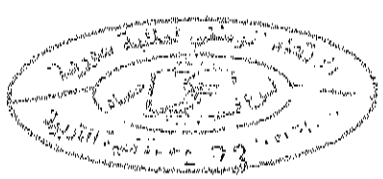

3-2-1- المجتمع

فهم الانسان لهذه الدراسة يعينه على إقامة علاقات اجتماعية ذات روابط وثيقة وذلك من خلال فهمه لذاته وللآخرين من حوله .

كما تعين على تعرف المشكلات الاجتماعية المتصلة بنمو الطفل مثل : الضعف العقلي ، وتأخر التحصيل الدراسي ، والانحرافات الجنسية ، والشذوذ وذلك للعمل على الوقاية والتخلص منها .

كما تساعد في تحديد افضل الشروط الوراثية والبيئية المؤثرة في نمو الطفل ايجابياً ، إضافة إلى تخفيف العبء الاقتصادي ، والاجتماعي ، والصحي الواقع على كاهل المجتمع ، وذلك بتلافي السلبيات منذ بدايتها ، وقبل أن يصل الطفل إلى مشكلات مستقبلية .

وهي تساعد على ضبط سلوك الفرد منذ طفولته ، وتوجيهه نحو مستقبل يتوافق مع ميوله وتطلعاته ، وتوجيه التعليم المناسب له ، وتحديد الخدمات الصحية ، والاجتماعية ، والنفسية لكافة أفراده .

4-2-1- علماء النفس :

هذه الدراسة تضع الأسس السليمة لعلماء النفس ، وذلك بكشفها عن الطرق المناسبة لمساعدة المراهقين والراشدين في العلاج النفسي ، والإرشاد التربوي والمهني كما تساعدهم على الكشف عن معايير الانحراف والشذوذ والاضطراب في سلوك الفرد وبيان أسبابه ، وتحديد طرق علاجه .

إضافة إلى فهم انعكاسات جوانب النمو المختلفة على بعضها ، وفهم الانعكاسات على الماضي لتمتد إلى الحاضر والمستقبل .

1-3- معنى النمو والتطور وطبيعة العلاقة بينهما :

1-3-1 تعريف التطور : *Development*

التطور هو : ((ما يحدث للكائن الحي من تغيرات كمية ، وزيادات في الحجم والبنية ؛ تبدأ مع تكون البويضة الملقحة ، وتستمر حتى اكتمال النضج ، ومن المعروف أن هذه التغيرات الكمية يصاحبها ارتقاء في الوظائف النفسية التي تتمثل في تزايد القدرة على التعلم ، والتذكر ، والاستنتاج ، وحل المشكلات ، والإبداع ، والتوافق الاجتماعي ، والاستقرار الانفعالي ، والالتزام بأخلاق الجماعة .))[1]

ومن الوجهة الفلسفية فإن التطور يعني : ((التجديد المستمر في ذات الإنسان الذي يحقق وجوده في أثناء مراحل نموه ، وخلال عمليات تكيفه .))[2]

وهو بمعناه الاصطلاحي : ((الزيادة في تعقيد وظائف الأعضاء ..... [وهو] عملية مستمرة تعتمد على النضج وعلى عنصر الزمن .))[3]

وهذا التطور له أشكال متعددة ومختلفة ، فهناك تطور نفسي جنسي ، واجتماعي ، وأخلاقي ، ومعرفي ... .

1-3-2 تعريف النمو : *Growth*

((هو الزيادة في الوزن والحجم والطول والعرض ، أي أنه الزيادة في طول وحجم أعضاء الجسد المختلفة نتيجة للزيادة المستمرة والمتصلة في عدد الخلايا .[4]

---

[1] (1) علاونة د. شفيق فلاح / التطور الانساني من الطفولة إلى الرشد / دار المسيرة /2004/ ص 19

[2] (2) عريفج ، د. سامي / علم النفس التطوري / دار مجدلاوي /1993/ ص16

[3] (3) أبو الخير ، د. عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / دار وائل /2004/ ص23

[4] (4) أبو الخير ، د. عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / دار وائل /2004/ ص22

بينما التعريف الاصطلاحي للنمو هو : ((عبارة عن سلسلة من الحلقات النمائية المتتابعة والمترابطة والمتصلة بعضها ببعض ، والتي تؤثر كل حلقة في التي تليها سلبياً أو إيجابياً .)) [1]

والحقيقة إن العلاقة بين التطور والنمو علاقة جدلية يصعب فصل جزء عن بعضها ، وذلك بسبب تشابك العوامل المؤثرة في هذه العلاقة ، فالنمو بمعناه الظاهري يشير إلى التغيرات الخارجية التي تطرأ على جسم الإنسان من (الوزن – الطول – الحجم) ولكن بمعناه العميق يشير إلى التغيرات اللغوية ، والعقلية ، والانفعالية ، والاجتماعية ، والنفسية ، فالطفل لا يزداد وزنه وطوله وحجمه إذا قطع مراحل عمرية وزمنية فقط ، بل لأنه تأثر بعوامل مختلفة محيطة به .

لذا فإننا لا نستطيع أن نفصل بين النمو والتطور عند الإنسان ، لأن تكوينه الذاتي يتألف من كليهما معاً ، فسلامة الأول تعني سلامة الثاني ، وكذلك إذا عكسنا العلاقة بينهما ، لذا فإن دراسة أحدهما تقتضي استحضار الآخر .

---

[1] (1) أبو الخير ، د. عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / دار وائل /2004/ ص23

1-4- محددات النمو : خ ا د ا ل

هناك محددات كثيرة للنمو نذكر منها :

1-4-1 المحددات الوراثية والبيئية :

أ-الوراثة : *Hereditary factors*

يجب أن نتوقف قليلاً عند مفردات الوراثة قبل أن نشرع بتحديد دورها في النمو مثل :

الجينات : (*Genes*)

وتكون محمولة على الكروموزومات . وكل انسان يمتلك (23) زوجاً من الكروموزومات ، (23) منها تحملها البويضة و(23) الأخرى يحملها الحيوان المنوي والبيضة الملقحة تكون مزيجاً من هذين الزوجين 23+23= 46 كروموزوماً.

الصفات والأنماط :

هي التي تظهر لدى الأفراد والتي يمكن أن يكون المسؤول عنها جين واحد ، والصفة المتنحية : هي السمة التي تتطلب جينين لتظهر ، أما النمط الجيني : فهو الذي يصف المكون أو التركيب الجيني للفرد ، لكن النمط الظاهري يشير إلى الخصائص الملاحظة للفرد ، ويمكن أن يكون هناك فروق بين النمطين .

ب- الموروث : *Heritability* : مدى كون الفرد من أبوين أو جده

يشير إلى نسبة الاختلافات القابلة للقياس بين الأفراد والتي يمكن قياسها ، كما أنها ترد إلى العوامل الوراثية ، والإرث الوراثي يمكن أن يؤثر في الوظائف البيولوجية عند الفرد مثل سمة التفاعل الإجتماعي ، أو الانغلاق الإجتماعي ، وكذلك مستوى النشاط .

الدكتور

ج – المزاج :

تقوم العوامل الوراثية بدور مهم في تحديد سرعة تطور المزاج لدى الطفل ، إذ يكون مزاجه ثابتا إلى حد كبير في مرحلة الرضاعة ، إلا أنه يتغير بين الثبات وعدمه فيما بعد ، وذلك بسبب الفروق الفيزيولوجية ، كما أنه يتأثر بحسب الكيفية التي يتفاعل فيها الأطفال مع بعضهم بعضا.

أما إذا أردنا الحديث الآن عن المحددات الوراثية ، فيمكن أن نعرف الوراثة بأنها : ((انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عن طريق الجينات ، والصفة التي يرثها الفرد لا تتحدد بمورث واحد وإنما تتحدد بالتفاعل الذي يحدث بين عدد من المورثات. [1]

وبما أن الطفل المولود يتشكل من مزيج من الجينات المشتركة بين الذكر والأنثى ، فإنه يحمل بعض صفاتهما ، ويتأثر بهما ذلك أن ((الجينات التي تؤثر في نمو الخلايا ، وفي انتقال الصفات إلى جميع أعضاء جسمه وأجهزته المختلفة ، يرتبط المعنى البيولوجي للوراثة بالخصائص البنائية ، وهذه الخصائص بالتالي تسهم في تحديد وتشكل الخصائص السلوكية للإنسان ، وتنتقل الصفات الوراثية من جيل إلى جيل عن طريق المورثات [2] ، وبهذا يمكن أن نربط بين الصفات التي يحملها الأبناء عن الآباء أو نتنبأ ببعض الصفات التي يمكن أن يحملها الأبناء عن آبائهم ولا سيما في الجنس الواحد [صفة الصلع عند الذكور] .

وهذه الصفات يتحدد دورها منذ اللحظة الأولى للإخصاب ، لذلك كان هناك تنبيه في الحديث الشريف إلى ضرورة اختيار المرأة ذات الأخلاق الرفيعة وإن كانت غير جميلة ، يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : [إياكم وخضراء الدمن] أي المرأة الجميلة في منبت السوء ، كما قال : [تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس] ، وقال : [لكل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد] أخرجه ابن ماجه في السنن (633/1) .

---

[1] (1) خليفة ، إبتسام / مراحل النمو [ط / ص 17-18

[2] (2) د. العواملة ود. مزاهرة / سيكولوجية الطفل (عند نمو) / ص 79

وهذه الأحاديث كلها تؤكد أن الوراثة لها دور كبير في نقل الصفات السلبية أو الإيجابية ، ويمكن أن نستدل على ذلك في القرآن الكريم عندما قال تعالى عن السيدة مريم بانها : ((وأنبتها نباتاً حسناً)) آل عمران / الآية 37 ، وذلك أن تنشئتها وتربيتها على خلق كريم أثمرت سيدنا عيسى عليه السلام .

ب – المحددات البيئية : *Environmetat factors* :

البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الفرد فيؤثر فيه تأثيراً مباشراً أو غير مباشر ، وذلك منذ بداية تشكله جنيناً إلى موته ، وهي تتضمن جميع الظروف المناخية والتضريسية والحرارة ، والبرودة ، والتهوية ، والتلوث ، والضجيج ، والزحام ، والعوامل الاجتماعية ، والثقافية ، والحضارية ، وغيرها .... فهي جميع المحددات التي تؤثر في الشخصية بعيداً عن الموروثات ، وهي تسهم إلى حد كبير في تكوين شخصية الفرد ، وتختلف من حين إلى آخر ؛ فهي غير ثابتة .

وهناك من ينكر أثر البيئة في نمو الفرد وتطوره ، وهذا من الأفكار المغلوطة الشائعة ذلك أن الجنين ((يتأثر في رحم أمه بجودة غذائها أو سوء تغذيتها ، ويتأثر بإدمانها على التدخين أو المخدرات أو الكحوليات ... ويتأثر بالأمراض التي تصيبها كالحصبة الألمانية مثلاً ، والإشعاعات التي قد تتعرض لها ، والضغوط النفسية التي قد تلازمها .)) [1]

إذاً فتأثير البيئة يبدأ منذ المرحلة الجنينية ، ويصحب مدة الحمل ، ويرافق الوضع وصعوباته ، وما يتصل بالطفل من عوامل طبيعية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وثقافية .

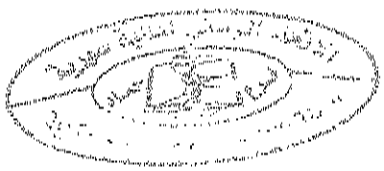

(1) أبو الخير ، د. عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / ص28

ويمكن أن نقسم المحددات البيئية إلى قسمين :

1) محدد بيئي صغير يقصد به ((جميع القوى المحيطة بالفرد داخل محيطه الأسري والتي يتأثر فيها سياق نموه طيلة مدة ايام حياته ، وسواء أكانت هذه العوامل داخلية أم خارجية ، مادية أم اجتماعية ، قبل الولادة أم بعدها .)) [1]

2) محدد بيئي كبير : يقصدبه ((المجتمع الذي ينتمي إليه ، ويصبح عضوا فيه ويعيش بداخله ، ويتفاعل معه طيلة أيام حياته ، وخلال مراحل نموه المتتابعة)) [2]

هـ- المحددات البيئية والوراثية :

هل هذه المحددات تعمل منفصلة أم متكاملة ؟ هذا سؤال يطرح نفسه ؛ سيما وأن هناك نفراً من علماء الوراثة يتجاهلون أثر البيئةفي نمو الفرد وتطوره، يقابلهم علماء العلوم الإجتماعية والسلوكية الذين لا يعرفون إلا القليل عن علم الوراثة ، وأثره في نمو الطفل ، وهم من ثمة يغلبون العوامل والمحددات البيئية في تأثيرها في شخصية الفرد على العوامل الوراثية .

وعلماء الوراثة يؤكدون أن ((التربية والتعليم والبيئة المحيطة التي لا تزيد من استعداد الفرد تمدها بالعقاقير التي تعمل بها وليها ، ولهذا فإن الفروق الفردية ستكون واضحة بين الناس بغض النظر عن نوعية التعليم الذي يتلقاه ، والبيئة التي يعيش فيها لهذا فإن نوع التعليم الذي يتلقاه الفرد يعتمد على استعداداته الموروثة للتعليم .)) [3]

---

[1] (1) أبو الخير ، د. عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / ص29

[2] (2) أبو الخير ، د. عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / ص29 وراجع مثلاً عبد د. عدنان ، شفيق فلاح / سيكولوجية التطور الإنساني / ص 57 63

[3] (3) خليفة ، ايلياس / مراحل النمو (تطوره وعايته) ص 20

بينما يرى علماء البيئة أن ((الفروق الوراثية في الامكانات العقلية للفرد ليست كبيرة ، وأن الجزء الأكبر من هذه الفروق يعود إلى الإختلافات البيئية، و إلى فرص التعليم و الثقافة التي يتلقاها .)) [1]

ولكن يمكن الرد على هذا الأمر في أن ((قضية التأثير النسبي لكل من الوراثة والبيئة في عملية النمو تثير مشاعر وحساسيات شديدة ؛ ذلك أن الدراسات المتعلقة ببدا الموضوع لا تتناول خصائص محايدة مثل : الطول ، أو القوة البدنية ، أو سرعة الجري ؛ بل تتعرض غالبا لخصائص أخرى مثل الذكاء ، والشخصية ، والفروق الفردية ، والأمراض النفسية والعقلية)) [2]

لذا فإن التناسب بين تأثير البيئة والمورثات يزداد طرداً ، فكلما اتصفت البيئة بالإيجابيات تحسن مستوى المورثات ، وإذا كانت المورثات إيجابية ولاقت بيئة ملائمة ومتوافقة معها تحسن أداؤها ، أما إذا كانت سلبية فإنها ستتراجع .

فعلى سبيل المثال : الطفل الذي يعيش في بيئة متفتحة ؛ ينمو دماغه أكثر ، ويزداد تكوين الأنزيمات المرتبطة بالتعليم والتذكر ؛ بينما الحرمان الإجتماعي والحركي – ولا سيما بعد الولادة – قد يضر بالجهاز العصبي .

كما أن الأسرة التي تعمل على إشباع حاجات طفلها النفسية ، و تشعره بالإحترام والأمان ، وتعمل على تنشئته وفق العادات الإجتماعية والأخلاق التربوية ، والسلوك القويم ؛ فإنها تساعده في بناء سلوك متوافق مع الآخرين ومن ثم تضمن له النمو النفسي والإجتماعي السليم ؛ بينما الحرمان الحسي والنفسي عند الرضيع ، وعزله عن المجتمع حوله قد يؤدي إلى إعاقة نموه وسلوكه .

كما يمكننا تأكيد العلاقة المتبادلة بين البيئة والوراثة من خلال تقسيم بعض الباحثين لأنماط التفاعلات بين الوراثة والبيئة إلى ثلاثة أنماط هي :

((النمط السلبي (passive) فيه يوفر الآباء بيئة تستند جزئياً إلى النمط الوراثي .

---

(1) حنفية ، أحمد محمد / مرجع سابق (مخطوط) / ص 20
(2) أبو ناشي ، عبد الكريم قاسم / ص 28

النمط الإثاري (*Evocative*) فيه يستند سلوك الأطفال جزئياً إلى النمط الوراثي ، ويؤثر في الكيفية التي يتصرف فيها الفرد مع الآخرين ....

النمط النشط : (*Active*) فيه أيضاً يعتمد الفرد جزئياً على النمط الوراثي ، ويختار أي المجالات البيئية ينتبه إليها ويتعلمها .))[1]

إذاً : هذا التقسيم يستند إلى مدى قوة تأثير البيئة في الفرد ، واستفادتها من الموروثات ، أو الإعتماد على الموروثات في التفاعل مع البيئة ، وتحسين أدائها .

---

[1] (1) الزيمارى ، د. محمد عودة / علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) / ص 27

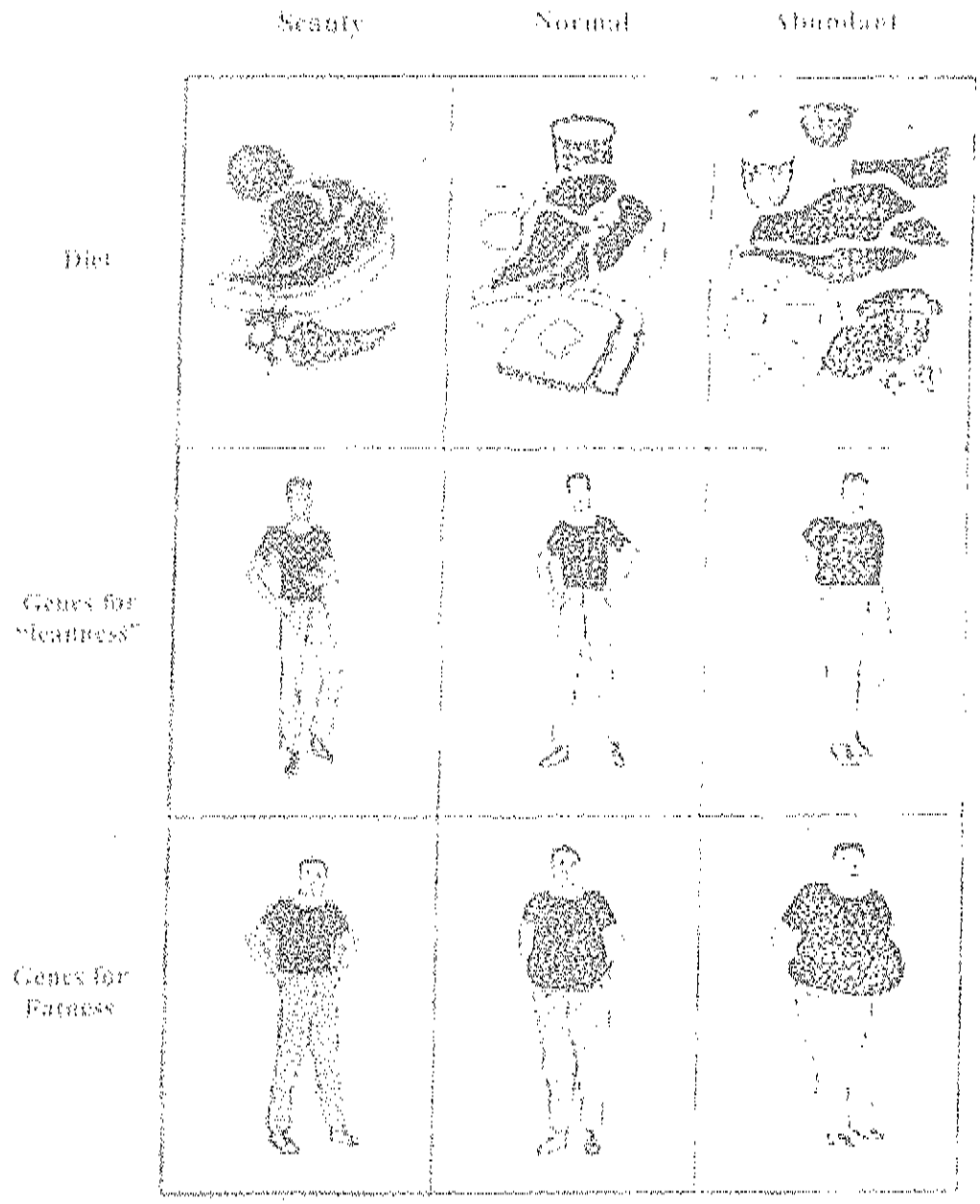

شكل رقم ٢/١ : يوضح تداخل الوراثة مع البيئة في تحديد طبيعة الإنسان

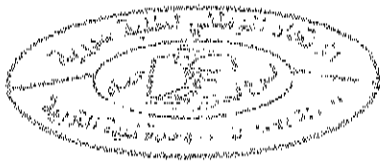

1-4-2- محددات النضج (*Maturation factors*)

هذا المفهوم مستمد من العلوم البيولوجية ؛ التي تعرفه بأنه مرحلة من النمو تنضج فيها الخلية الجرثومية عندما يصبح عدد كروموزوماتها مضاعفا ، وذلك تمهيدا لأداء وظيفتها في انتاج خلية أخرى غير ناضجة ، هذه الخلية يكون عدد كروموزوماتها يساوي نصف عددها في الخلية قبل الانقسام مباشرة .

لكن علماء النفس استعاروا هذا التعريف مجازا ؛ ليستفيدوا منه في مجال نمو الفرد ، وسلوكه ، فعرفوه بأنه : ((مجموعة من العوامل الداخلية المعينة التي تؤثر على سلوك الفرد وتحدده)) [1]

ذلك أن النضج عملية داخلية تشكل أول شرط من شروط التعلم الهادف ، إذ تصل الخصائص والإستعدادات العقلية والجسمية عبر مراحل عمرية مختلفة إلى حد تصبح فيه قابلة للعمل والإنتاج ، وتزيد من قابلية الفرد للتكيف مع البيئة المحيطة ؛ بما يتناسب مع عمره ، فالنضج يحدث تغييرا في تركيب بناء الفرد الداخلي ، ويعطيه قدرة على استخدام مختلف أعضاء جسمه بحيوية واستمرار يصلان إلى أعلى درجة في أداء وظائفه الحيوية .

إذا فالنضج هو : ((مجموعة التغيرات الداخلية التي تحدث عند الفرد ، وتعود إلى تكوينه الفيزيولوجي)) [2]

1-4-3-التكوين الغدي :

الغدد : يوجد في جسم الإنسان نوعان من الغدد ، منها ما هو متصل بقنوات مثل : الغدد العرقية ، والغدد الدمعية ، والغدد اللعابية ، والدهنية ، والمعدية ، والمعوية ، والبروستات ، ومنها ما هي غدد صماء من غيرقنوات ، وهذه الغدد تصب إفرازاتها في الدم مباشرة ومنها : الصنوبرية ، والتيموثية ، والنخامية ، والدرقية ، والكظرية

---

[1] (1) د. أبو الخير ، عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / ص 30
[2] (2) د. أبو الخير ، عبد الكريم قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / ص 30

والتناسلية و... . وهذه الغدد هي التي تؤثر في الحياة النفسية عند الإنسان ؛ ذلك أن هذه الإفرازات إذا كانت متوازنة أثرت إيجابيا في نمو الإنسان ، أما إذا اضطربت واختل توازنها ؛ اختل توازن النمو ، وبالتالي اختل توازن السلوك الإنساني لأن هرمونات الغدد الصماء يظهر تأثيرها في عدة أمور منها :

((الوظائف المختلفة لأعضاء الجسم ، وتنظيم عملية التغذية ، وتحديد شكل الجسم وأبعاده ، وتنظيم النشاط العقلي ، وتحديد السلوك الاجتماعي ، إضافة إلى تحديد الإتزان الإنفعالي)) [1]

وسنأتي على كل نوع من أنواع الغدد بشيء من التفصيل ، لنستوضح تأثيرها النفسي في الإنسان . وقبل ذلك نعرف التكوين الغدي بأنه ((من العوامل المهمة المؤثرة في عملية النمو عند الإنسان .... والجهاز الغدي عبارة عن مجموعة من الخلايا ذات التركيب التشريحي المميز ، وهي تقوم بإفراز مواد كيميائية لها دور كبير في إتمام الكثير من العمليات الضرورية لحياة الفرد .)) [2]

وهذه الغدد منها ما تبدأ فعاليته منذ بدء التكوين الجنيني في جسم الإنسان ، ومنها ما يؤثر في النمو الجنيني منذ الشهر الرابع (الغدة النخامية) ، ومنها ما يبقى كامنا مثل (الغدة الجنسية) التي تؤثر في النمو والتطور الجنسي ، والجسمي ، والإنفعالي والاجتماعي ولكن في المراهقة والبلوغ وما بعدهما .

وفيما يلي استعراض لأنواع الغدد وتأثيرها ، ونبدأ بـ :

1- الغدة الصنوبرية : *pinal Gland Epiphysis*

وتقع هذه الغدة في الرأس تحت المخ ، وهذه الغدة لم تعرف حتى الآن وظيفتها الفعلية ؛ إلا أن ضمورها مع مرحلة البلوغ يوحي بأن لها دوراً في منع مظاهر البلوغ

---

[1] (1) د . مريفج . سامي / علم النفس التطوري / ص 46

[2] (2) ابو الخير / النمو من الحمل الى المراهقة / ص 30

الجنسي قبل وقتها المحدد ؛ ذلك أن افرازاتها في وقت مبكر يجعل الطفل يظهر بشبه خشونة المراهق .

2- الغدة النخامية : *pituitary Gland*

تقع هذه الغدة في الرأس ايضاً ، ولكن في القسم السفلي من المخ ، والجزء الأمامي منها هو الأهم ؛ لأن الهرمونات التي يفرزها تؤثر في نشاط الغدد الأخرى ، وبالتالي تؤثر في نمو الإنسان عموماً ، فنقص إفرازها على سبيل المثال قبل البلوغ يؤدي إلى : توقف نمو العظام ، والتقزم .

أما زيادة إفرازها فإنها تؤدي إلى زيادة نمو العظام ، والعملقة غير المتوازنة لأن هذا العملاق يكون كبيراً في الحجم ، وضعيفاً في العقل وفي الناحية الجنسية .

والفص الأمامي في هذه الغدة يفرز خمسة هرمونات لها تأثيرها المهم على الغدة الدرقية والكظرية والغدة التناسلية ، وهذه الهرمونات هي :

أ- هرمون النمو :

الذي ينظم نمو العضلات ، والعظام ، والأنسجة الأخرى في كل الجسم ، كما يؤثر في نمو الفرد ؛ فزيادة افرازاته في الطفولة ، والمراهقة تؤدي إلى العملقة ، أما زيادتها بعد المراهقة فتؤدي إلى تضخم الأجزاء الطرفية كالأذنين ، والأنف السفلي ، واليدين ، والقدمين ، و تحدب الظهر ، ونشوء عظام الصدر ، أما نقص إفرازات هذا الهرمون فتؤدي إلى حالة القزمة ، وإلى عدم اكتمال النضج الجنسي .

ب- الهرمون المنشط للغدة التناسلية :

هذا الهرمون يؤثر في بدء عملية البلوغ ؛ إذ يساعد في نضج البويضة ، و ينظم عملية الطمث الشهري عند الأنثى ويؤثر في إفراز هرمون البروجستون لديها ،

وينظم نمو الحيوانات المنوية في الخصيتين عند الرجل ، ويؤثر في إفراز هرمون التستيرون لديه .

ونقص إفراز هذا الهرمون يؤدي إلى النعاس ، وزيادة تصاحب عدم التضخم الجنسي ،أو تكبيره ، وهذا ما ينعكس سلباً على النمو الجسمي .

وهنا نتوصل إلى أن اضطراب افرازات هاتين الغدتين يترتب عليه اضطراب نفسي ، وآثار سلبية ، وتأثير في العادات ، والاتجاهات ، والميول .. فالإنسان المتخلف جسماً عن أقرانه [قزم – عملاق] يشعر باضطرابات نفسية عندما يقارن نفسه بأقرانه وكذلك ظاهرة البلوغ المبكر تخل بتوازن الإنسان نفسياً واجتماعياً ....

3- الغدة الدرقية وجاراتها : *Thyroid Gland and parathyroids*

تقع الغدة الدرقية في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة ؛ أمام القصبة الهوائية تحت الجلد ، وتتكون من فصين ، ويتراوح وزنها بين 10-15 غ ويزداد حجمها موقتاً في أثناء البلوغ ، والحمل ، وفترة الحيض ، وهي مسؤولة عن إفراز هرمون الثيروكسين ، إضافة إلى تنظيم عملية النمو ، وتنشيط الأعصاب وتنظيم استهلاك الجسم للأوكسجين ، وبالتالي فإن اضطراب إفراز هذه الغدة يتسبب – ولا سيما في مرحلة ما قبل البلوغ – بتوقف الطفل عن الزيادة في الطول ، ولكنه لا يتوقف في العرض ، وهذا التشويه في مظهر الإنسان يؤثر في حياته النفسية ، كما أنه يترافق بالضعف العقلي ، وتأخر المشي والكلام ، أما إذا كان النقص في مرحلة ما بعد البلوغ فإنه يؤدي إلى اضطراب في النمو ، وتساقط الشعر ، وزيادة في الوزن، وانتفاخ في الوجه وانخفاض درجة الحرارة ، وكثرة النوم ، وسرعة التهيج ، والخمول، والكسل، والكآبة .

أما زيادة إفراز هذه الغدة قبل البلوغ فتؤدي إلى زيادة في سرعة نمو الطفل ، أما زيادتها بعد البلوغ فتؤدي إلى زيادة سرعة عملية الهدم والبناء ، وزيادة سرعة النبض، وارتفاع ضغط الدم ونقصان الوزن ، والأرق ، وسرعة التهيج العصبي ،

والتوتر النفسي المستمر ، وكذلك يرافقه : جحوظ العينين ، وارتعاش الأطراف ، وازدياد التعرق ، وارتفاع بسيط في درجة حرارة الجسم .

أما جارات الغدة الدرقية : فهي أربع غدد موجودة على جانبي الغدة الدرقية ، وهذه الغدد تفرز هرمون الباراثورمون الذي يعمل على تنظيم نسبة الكالسيوم والفوسفور في الدم ، ويعمل على تكوين العظام أيضاً ، ويسهم في النشاط العضلي العصبي .

والنقص في إفراز هذه الغدد يؤدي إلى انخفاض نسبة الكالسيوم في الدم إلى سرعة الهيج العصبي ، والتشنج العضلي ، والشعور بالضيق ، والخمول العقلي ، وجحوظ العينين ، بينما الزيادة في إفرازها يؤدي إلى زيادة نسبة الكالسيوم في الدم ، ونقل نسبته في العظام ؛ مما يؤدي إلى لينها ، وبالتالي إلى تشوه في الهيكل العظمي ، وإلى تشكل حصيات في الكلى ، وإلى ظهور علامات التعب الزائد والملل ، وضعف السيطرة على الذات ، وتقلص العضلات ، والصداع ، وآلام الأطراف ... .

4- الغدة التيموسية *Thymus Gland* :

تقع هذه الغدة في الصدر ، وتكون بوزن /10/ غ عند الولادة ، تنمو وزنها 30غ في سن العاشرة ، لتبدأ بالضمور عند اقتراب البلوغ ، ويتوقف لها نموها نفسها التي للغدة التناسلية ؛ إذ تمنع ظهور البلوغ المبكر .

5- الغدة الكظرية *Superanal Gland* :

عبارة عن غدتين تقع كل واحدة منهما فوق إحدى الكليتين ، وتفرز هرمونات يؤدي اضطرابها إلى اضطراب في وظائف الجسم ، فالنقص يسبب عدم الرغبة في الطعام ، والتقاعس عن بذل الجهد ، وإحداث اضطرابات في المعدة وضعف في القوى العقلية والتناسلية ، وضعف في الدافع إلى الإتصال مع الآخرين ، بينما تسبب الزيادة : تأخراً في النمو العقلي ، ونضجاً جنسياً مبكراً وزيادة في الحساسية الانفعالية .

وهناك : لب الغدة : الذي يفرز هرمون الأدرينالين ، الذي يؤثر مباشرة في الجهاز العصبي فيعطيه القدرة على الأمر بمباشرة السلوك لمواجهة المشكلات ، والتحفز لمواجهة الطوارئ .

6- الغدة التناسلية : gland ular

هذه الغدة عند الرجل هي (الخصيتان) وكل خصية مؤلفة من نوعين من الخلايا ، الأول منها يفرز الحيوانات المنوية التي تسهم في عملية الإلقاح والتكاثر ، والثاني يفرز هرمونات الذكورة التي تساعد على سيطرة الملامح الذكرية عندهم ، مثل [اللحية – خشونة الصوت – عرض الكتفين ...] .

أما الغدد التناسلية عند الأنثى فهي (المبيضان) ، ويتكون المبيض من كثيرة البويضة التي تتحد بالحيوان المنوي الذكري ، ليتشكل من اتحادهما الجنين ، كما تساعد إفرازات كثيرة المبيض على سيادة الصفات الأنثوية ، مثل [نعومة الصوت – عرض الحوض – ظهور النهدين ...] .

لكن لب المبيض تؤثر إفرازاته دورا مهما في تطور البويضة المخصبة خلال مدة الحمل ، وبعد ورود الولد ما بعد الولادة ، إن إفرازاته تؤثر في إدرار الحليب لتغذية رضيعه لمدة سنة .

وبالتالي يمكننا أن نحدد أثر كل الاضطرابات في إفرازات أنواع الغدد التي مرت معنا زيادة أو نقصانا يؤثر في نمو الإنسان ، وسلوكه ، وتغير حياته ، وانفعالاته ، وهذا ما يقودنا إلى وجود علاقة وثيقة بين النواحي العضوية في جسمه والنواحي النفسية ، وتفاعلهما معا في تنشئة فرد يتسم بنفسية سوية في حال سلامتهما ونفسية مضطربة في حال اضطرابهما .

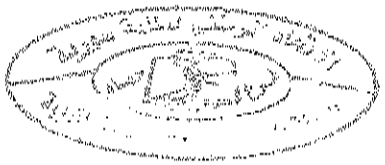

1-4-4 الظروف المحيطة بتكوين وولادة الجنين :

1-4-4-1 تكوين الجنين :

لا بد من تعرف الظروف المحيطة بتكوين الجنين وولادته ، لأن دراسة هذه الظروف تعين على معرفة طبيعة نمو الفرد هل كانت طبيعية أم أنها لم تكن كذلك .

فيحدث عملية الجماع يبدأ تكون إنسان جديد باتحاد حيوان منوي مع بويضة ناضجة ، وبذلك يبدأ النشاط النمائي عن طريق الانقسام المتوالي ؛ فتتكون خلايا جديدة فأخرى ، ومن هنا يبدأ تكون الجنين ، وتنتقل هذه البداية الحيوية (الخلية الجرثومية) من قناة فالوب إلى الرحم لتحاط بالمشيمة التي تتعلق بها عن طريق الحبل السري الذي يتنقل الغذاء عن طريقه .

ثم تمر في مرحلة العلقة ، وتتمايز خلاياها ضمن ثلاث طبقات :

1- الطبقة الخارجية : *Ectoderm*

ومنها تتكون البشرة ، والشعر ، والأظافر ، والأسنان ، والأعصاب .

2- الطبقة الوسطى : *Mesoderm*

ومنها تتكون العظام ، والعضلات ، والجهاز البولي ، والجهاز الدموي .

3- الطبقة الداخلية : *Endoderm*

ومنها يتكون جهاز الهضم ، والقناة الهضمية ، وجهاز التنفس .

وبذلك يشكل الشهران الأولان من عمر الجنين التكوين والبناء لجسمه ، ثم يحصل نمو سريع في الشهرين الثالث والرابع يقود إلى تغيرات تهيء أجزاء الجسم للقيام بوظائفها ، وتتكامل معالم جسمه حتى الشهر السادس ، وفي الأشهر الثلاثة

الأخيرة من الحمل تحصل تغيرات كمية لا نوعية ، مما يجعل الحياة ممكنة في الظروف العادية التي تعد أقل مواءمة من بيئة الرحم .

ولابد أن نركز على الظروف المحيطة بتكوين الجنين لما لها من أثر فيه بعد ولادته ، فقد ((اشار العديد من علماء نفس النمو إلى أن الجنين يتعرض في مراحل تكوينه المختلفة لظروف قد تترك آثارها في نموه بشكل دائم فيما بعد ، وأصبح من المسلم به لدى دارسي عوامل الوراثة الإنسانية أن الجنين لا يكتسب تكوينه العضوي من العوامل الوراثية وحدها ، بل إن عوامل البيئة الرحمية التي يعيش فيها هذا الجنين تؤثر بدورها بالبيئة الخارجية المحيطة بالأم، وما تمر به الأم نفسها من خبرات وأحداث أو ما تعانيه من أزمات أو من احتياجات ، وذلك أن ظروف الأم ، وحياتها ، وما تتعرض له من مؤثرات مادية ، ونفسية ، واجتماعية تؤثر بدورها في تكوين الجنين ، ثم في نموه بعد ذلك ، وبالتالي فإن هذه الظروف ، وما يترتب عليها من آثار في تكوينه يشكل بعض المحددات الأساسية لنموه السلوكي بعد الولادة ، ويحدث ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة .)) [1]

ويمكن تحديد العوامل المؤثرة في نمو الجنين قبل الولادة في : *

1 - نوع الغذاء :

فاعتماد الأم على نوع معين من الأغذية ، وافتقار هذه الأغذية إلى كثير من العناصر المهمة لنمو الجنين (مثل الكالسيوم) قد يؤدي إلى ضعف في عظام الطفل ، كما أن سوء التغذية قد يؤثر في تطور الدماغ ؛ إذ يقلل من انقسام خلايا الدماغ مما يسبب إعاقة كبيرة لدى الجنين ، كما يمكن أن يؤثر في الجهاز العصبي لدى الانسان .

ولذلك يستلزم لدى الحامل أن تنوع في غذائها وتهتم بكيفيته ومحتوياته من الفيتامينات ، والبروتينات ، والكالسيوم ، فأثر الغذاء لا يقتصر على الجوانب الجسمية لدى الجنين بل يتعداها ليؤثر في تركيب الدماغ وبنية الجهاز العصبي .

---

[1] (1) أبو الخير / النمو من الحمل إلى الطفولة / ص 31 .

* ملخص : عن كتاب سيكولوجية التطور الإنساني / للدكتور محمد شفيق علاونة / ص 56-62

2- الأمراض المختلفة :

التي قد تصاب بها الحامل ، فالمشيمة لا تقي الجنين من كل الأمراض ، وهذه الأمراض قد تؤدي إلى تشوهات جسمية ، أو تلف في بعض أعضائه ، أو إلى الشلل أو الوفاة مثل [الزهري – السيلان – الحصبة الألمانية – السكري – حمى التيفوئيد] .

3- تناول الأدوية :

فالعقاقير ، ومسكنات الألم التي قد تتناولها الأم – ولا سيما في أشهر الحمل الأولى – قد تؤثر في نمو الجنين ، وتسبب إعاقته ، لذلك لابد من استشارة طبيبها المختص ، لأن كثيراً من المواد المؤذية قد تتسرب إلى المشيمة ، وتؤثر في نمو الجنين لأن أعضاءه وأليافه لا تكون مكتملة النضج .

كما أن تناول المشروبات الكحولية والتدخين عند الأم الحامل – ولاسيما عند تكوين الجهاز العصبي للجنين – قد تؤثر فيه ، فيولد معاقاً أو مشلولاً .

4- التعرض للأشعة :

و يحدث اضراراً جسيمة على صحة الجنين ، وتضر بالنواحي العصبية ، والحركية ، والعقلية ، والجسمية .

5- الصدمات الجسمية والنفسية :

التي قد تتعرض لها الأم إما عن طريق الضربات على البطن ، أو التعرض لحوادث السير المختلفة ، أو تعرض الأم إلى حالات انفعالية نفسية حادة [حزن – غضب] وهي لا تقل أهمية وضرراً عن الصدمات الجسمية ، لأن الغضب الشديد ، والتوتر والاجهاد الفكري والنفسي كلها عوامل تؤثر في تطور الطفل ونموه وتخلق أزمات لدى الطفل مثل : الصعوبة في النوم ، والبكاء الشديد ، والتهيجات ، وآلام المعدة ، وصعوبة الأكل .

6- عمر الأم :

لم تثبت الدراسات القاطعة دور الأم المباشر في نمو الطفل ، ولكن يفضل أن يكون عمر الأم في العشرينات من العمر لأنه سن الخصوبة المرتفعة لدى الأم ، أما قبل ذلك فقد لا يكون الجهاز التناسلي مكتملاً مما يؤدي إلى اضطرابات صحية لدى الأطفال ، أو إعاقتهم . وكذلك بعد العشرينات تقل الخصوبة ، وتزداد نسبة ولادة الطفل المنغولي .

7- الزمرة الدموية : (الطفولة د. س ٢٠٠٦)

ففي حالات توافق الزمرة الدموية (*RH*) سلبياً أو ايجابياً لا تكون هناك مشكلات ، أما عند اختلافها تتشكل أجسام مضادة في دم الأم تدمر كريات الدم الحمراء في الجنين ، وبالتالي تتلف المخ ؛ مما يؤدي إلى الضعف العقلي أو الوفاة ، و هذه توقي منها الحامل بوساطة تناول إبرة تأخذها الأم مباشرة بعد ولادة مولود يحمل زمرة دم مخالفة .

1-4-4-2 ولادة الجنين :

هناك ظروف ومحددات كثيرة تؤثر في نمو الجنين ، منها نوعية الولادة التي قد ترافق مجيء هذا الجنين إلى الحياة ، فهناك ولادة :

أ- طبيعية :

وهذه الولادة تحصل من دون تدخل جراحي أو مادي ، وإنما بمساعدة الطبيبة وفي هذه الحالة تعد الظروف عادية ، وتساعد على نمو الجنين وتطوره إيجابياً .

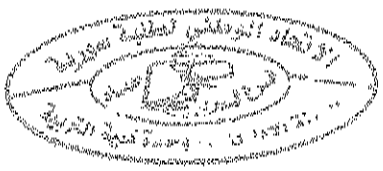

(1) ملخص ، أ.د سامي عريفج / علم النفس التطوري / ص 60-61

ب- متعسرة :

يستخدم فيها الجفت أو الشفط وأحياناً الجراحة القيصرية ، وهذه الأساليب قد تؤدي إلى اختناق الوليد ، أو تسبب له نقصاً أو زيادة في كمية الأكسجين المعطاه له أو الممنوعة عنه ؛ مما يؤدي إلى تلف بعض خلايا المخ ، وإعاقة نموها ، وربما يعود السبب إلى الضغط الزائد الناتج عن استخدام الآلات مما يؤدي إلى الضعف العقلي ، وحالات الصرع ، أو حدوث تشوهات ، أو انفصال المشيمة ، أو انفجار جيب المياه إذا طالت مدة الولادة .

ج- منبسترة :

وهي تتم قبل موعد الولادة الطبيعي ، وتسمى قبل مرور سبعة أشهر ، مما يؤدي إلى اضطراب في نمو الطفل بسبب الصدمة الرئيسة التي قد يتعرض لها المولود من قبل والديه ، إضافة إلى حجبه عن كثير من الخبرات العقلية والاجتماعية خوفاً عليه ، وقد يصبح اتكالياً متأخراً في نموه العقلي والاجتماعي ، ويكون لديه تأخر في نضج المخ ، ومستوى الذكاء وعدم انتظام في درجة الحرارة ، وصعوبة في التنفس ، أو زيادة قابلية العدوى ، ومشاكل في التغذية ، وقلة سعة المعدة ، ومشاكل سوء امتصاص ، يرافقها مشاكل في التبول والتبرز ، واحتمال الاصابة بالصفراء .

1-4-4-3 الولادة : [illegible]

هذه العملية من الحوادث المهمة في حياة الطفل ؛ لما ترتبط به من تأثيرات في العقل والأسرة ، لأن الطفل يواجه بيئة جديدة مختلفة عن بيئة الرحم ، وكذلك الأسرة تواجه ظروفاً نفسية وانفعالية ، لذا يجب أن تعد نفسها مسبقاً نفسياً ومادياً وتربوياً فعلى الوالدين أن يلما بطرق التربية المناسبة وأساليبها ، والعناية الصحية بالمولود ؛ لضمان جو نفسي ومادي سليم للطفل ، ومن الناحية النفسية يفترض أن يستعد الوالدان لتغيير نمط حياتهما بعد مجيء المولود .

والطفل يولد مزوداً بالأجهزة والاستعدادات التي تساعد على نموه ، لكن هذه الأجهزة تحتاج إلى الرعاية والاهتمام لتتابع القيام بدورها .

وفي هذه المرحلة يكون الطفل قادراً على التنفس ، ويمتلك الحواس التي وصلت إلى حد معين من النضج ، ويملك استجابات وردود أفعال بسيطة تجاه مؤثرات البيئة حوله .

1-4-5 محددات التنشئة الاجتماعية : *Socialization factors*

هذه المحددات لها أثر كبير في نمو الطفل وتطوره ، لأنها تمكنه من بناء شخصيته من خلال عملية التطبيع والتعلم الاجتماعي كي يصبح عضواً فعالاً في المجتمع .

وتعد السنوات العمرية الأولى من أهم السنوات [سن التكوين] لأنه يتم فيها بناء دعائم شخصية الطفل ومكوناتها ، لأنه بعد ذلك يتم توجيهها بحسب الوجهة التي بنيت عليها هذه الدعائم خلال نمو الطفل وتطوره عمرياً .

وتعود أهمية المرحلة الأولى إلى أن الطفل يعتمد اعتماداً كلياً على والديه ، وعلى من يحيط به بحكم عدم قدرته ، وعجزه عن تسيير أمور ذاته ، لأنه لا يمتلك الوسائل والحيل التي تعينه على دفع الأذى عن نفسه في حال تعرضه للخطر من قبل من هم أكبر منه سناً ، أو ممن يمنعونه عن اشباع حاجاته .

وتزداد الهوة بين الطفل وبين المحيطين به – ولاسيما الأكبر منه سناً – من النواحي العقلية والانفعالية ، وذلك أن الطفل لا يستطيع إدراك العالم من حوله بالطريقة نفسها التي يدركونها به هم ، ولأن يضبط انفعالاته مثلهم ، كما أنه يعتمد عليهم في عملية التغذية بدءاً من الرضاعة إلى الفطام .

وهناك عملية لها أثر كبير في نمو الطفل وهي (الإخراج = التبول في الأماكن المخصصة) وثقافة الأم لها دورها في التعامل مع هذا الموضوع من حيث عدم التهاون مع الطفل الذي يتأخر في إدراك وإتقان هذا الأمر ، ويجب أن تعلم الأم أن

هناك فروقاً فردية بين طفل وآخر وإن كانا في العمر نفسه ، وهذه الفروق تتمثل في قدرتهما على التعلم ، وإتقانهما للمهارات المطلوب منهما تأديتها .

وإخفاق الطفل في هذا الأمر يقلل من رضى المحيطين به ، مما يخلق صراعاً في داخل الطفل.

إضافة إلى موضوع السلوك الجنسي الذي يتبعه بعض الأطفال ، والذي يعد مرفوضاً أخلاقياً واجتماعياً وثقافياً ، وهو لا يحدث فجأة وإنما هو نتيجة تطور تدريجي يشمل التكوين البيولوجي ، ومظاهر السلوك عموماً .

وهذا السلوك من الأمور المهمة في عملية التنشئة الإجتماعية والمؤثرة في تكوين الطفل ، وتكوين شخصيته ، وعلاقاته بالجنس الآخر ، وقد يتعدى ذلك إلى الزواج ، فله أثره البالغ في تنشئة الطفل عموماً .

وهذه المحددات السابقة ((لا يعمل كل منها منعزلاً أو مستقلاً عن غيره من العوامل ، وإنما يقوم بينها علاقات تفاعل أي أخذ وعطاء وتأثير أو تأثير متبادل بين العوامل الوراثية والبيئية ، والميلادية ، فيحدث تأثير متبادل .))[1]

---

[1] (1) العيسوي أ.د. عبد الرحمن / سيكولوجية الطفولة والمراهقة / ص 26

١-٥- المبادئ العامة للنمو والتطور :

يحدث النمو عند الإنسان من خلال طريقة تحكمها مبادئ أساسية ، وقوانين عامة ، وحقائق ثابتة ، فهو ليس عشوائياً ، وإنما هو تنظيم للحياة الإنسانية ، وإعداد لتكاملها على أحسن وجه .

وفهم هذه المبادئ يساعد المربين على التعاون مع الاتجاه الطبيعي للنمو ، كما أنها تخضع في وجودها وتأثيرها لعوامل طبيعية في السلامة البشرية ، إضافة إلى البيئة التي تؤثر ثانوياً فيها ، وهذا يؤكد أن النمو له حقائق الموضوعية ، وقوانينه العلمية ، ونظرياته الراسخة التي نجملها فيما يأتي :

١-٥-١- النمو عملية مستمرة متدرجة تتضمن نواحي التغيير الكمي والكيفي والعضوي والوظيفي :

عملية النمو الطبيعي دائمة متصلة منذ بدء الحمل حتى الوفاة ، وكل مرحلة من مراحلها تتوقف على ما قبلها ، وتؤثر فيما بعدها ، فلا توقف فيها، إنما يكون هناك نمو كامن ، ونمو ظاهر ونمو سريع ، ونمو بطيء إلى أن يتم نضج الإنسان ، وظهور ((علامات أو إشارات محددة في النمو لا يعني أنها تظهر فجأة أو دفعة واحدة ، ولكن قد يسبقها نمو كامن .... وهذه التغيرات تتضمن التغير الكمي والكيفي والعضوي والوظيفي)) [1]

فالنمو يحدث متعاقبا ومتسلسلا عبر مرور الوقت فنجد أن ((الطفل ينمو لأن خلايا جديدة يتم بناؤها في جسمه مما يؤدي إلى زيادة وزنه وحجمه، وفي الوقت نفسه يتعلم مهارات جديدة ، ويكتسب خبرات جديدة ، فتتطور مهاراته ويتحسن أداؤه)) [2]

---

[1] (1) د. العواملة ومزاهرة / سيكولوجية الطفل (علم نفس النمو) ص
[2] (2) د. ابو الخير / النمو من الحمل الى المراهقة / ص 35

والنمو لا يبقى مستمراً على الوتيرة نفسها ؛ لأن سرعته تتغير ، فهو في السنوات العمرية الأولى مختلف عنه فيما بعدها، لأنه لو استمر لوجدنا وزن الطفل يستمر في الزيادة مثلاً .

كما أن هذا النمو – في الإدراك – يبدأ تدريجياً فالطفل يناغي قبل أن يتكلم ، ويجلس ويزحف قبل أن يمشي و هكذا

1-5-2- النمو والتطور يشكلان سلسلة متعاقبة ومتتابعة ومنتظمة باتجاه ايجابي :

النمو العادي عملية دائمة متصلة ليس فيها وقفات ، فحياة الفرد وحدة متكاملة لكن نموه يسير وفق مراحل لكل منها سماتها الواضحة ، ولكن تتداخل هذه المراحل مع بعضها ، إلا أنها تتضح في منتصف كل مرحلة ، كما أن لكل مرحلة سيكولوجيتها الخاصة ، فلا نستطيع معاملة الشاب على أنه طفل ، ولا الطفل على أنه ناضج و ... .

والنمو يبدأ بسيطاً ليزداد تعقيداً مع زيادة النضج ، كما يبدأ من مركز الجسم أو منتصفه إلى الأطراف ، وكل طفل يشكل حالة خاصة به ضمن الوضع الطبيعي للنمو والتطور ، وهم عموماً يتشابهون في النقاط العامة والمتسلسلة للنمو .

1-5-3- تشابه خصائص النمو والتطور عند جميع الأطفال :

قد نجد اختلافات وفروقاً طفيفة بين طفل وآخر ، فنجد هذا متقدماً ، وآخر متأخراً ، ولكنها فروق سطحية وقد تعود إلى أسباب نفسية ، أو بيئية ، أو صحية ، أو إجتماعية ، أو كل هذه الأسباب مجتمعة .

1-5-4- سرعة النمو ليست مطردة :

أي إن أجزاء الجسم لا تنمو أو تتطور بالمعدل نفسه ، فهناك أنسجة في الجسم ينضج بعضها قبل الآخر ، وكذلك جوانب النمو العقلي لا تتقدم بدرجة متساوية.

ويبدو أن هناك ثمة توافق بين الإسراع والتأخير في نمو الطول والوزن والذكاء، ونضج العمليات الإنفعالية ، أو النضج الجنسي ، والتوافق الاجتماعي، والذكاء.

وسرعة النمو لا تسير على وتيرة واحدة ، فمرحلة الحمل للجنين هي أسرع مراحل النمو ولو استمر الإنسان في نموه ضمن معدلها لكان طوله وهو راشد يصل إلى (400 متراً) وهو يبقى سريع النمو في مرحلة الرضاعة، ليتباطأ في المرحلة الوسطى ، ويتابع الإنسان رحلته من مرحلة إلى أخرى ليصل إلى الشيخوخة ، فيبدأ الضعف ، وتبدأ فكرة التهيؤ للموت والزوال .

1-5-5- أقسام النمو حركية ، عقلية ، اجتماعية ، انفعالية، مترابطة مع بعضها :

فلا يمكن فصل النمو الجسمي عن التطور الايجابي ، فكل أقسام النمو يتفاعل مع الأمر ويؤثر فيه ، ويتأثر به ، ((فالنمو اللغوي يتأثر بالنمو العقلي ، والنمو الجسمي والنمو الانفعالي ... فالسلوك كونه ظاهرة طبيعية ينظر إليه على أنه ظاهرة كلية موحدة وإن كان متعدد الجوانب ... فالنمو في مظهر سلوكي معين لا يمكن فهمه بمعزل عن المظاهر السلوكية الأخرى .)) [1] فالنمو هو نمو التكامل والتفاعل .

---

[1] (1) خليفة . د. إبتسام / مراحل النمو / ص 16

1-5-6- مؤثرات الجنس البشري :

قد يكون لانتماء الطفل إلى عرق بشري معين دوره في نموه ، وكذلك في معاملة الوالدين للطفل ، ولإفرازات الغدد ، وللتغذية دور كبير في عملية النمو كما سبق وتحدثنا عن ذلك في المحددات .

1-5-7- القيم الاجتماعية :

فهذه القيم التي ورثها الفرد ، وخبرها ، وتعامل معها ، وكذلك مواقف التعامل الاجتماعي مع الآخرين تشكل لديه استعدادات سلوكية ثابتة نسبياً عبر مستقبل حياته .

1-5-8- يسير النمو من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء :

يستجيب الطفل في البداية استجابات عامة لا تلبث أن تصبح أكثر دقة كلما تقدم في العمر وهذا يبدو جلياً في استجاباته الحركية ، فهو يبدأ بالحركة بجسمه كله في البداية ، ليحرك يديه ، ثم يد واحدة ، فأصابعه ، ويستخدم – في المجال اللغوي – كلمة (بابا) ليدل على أي رجل يراه ، وبعد ذلك يميز أباه من الآخرين . وفي النمو العقلي يُجد أن ((المهارات الخاصة والقدرات الخاصة لا تظهر عند الطفل إلا في سن متأخرة وهذا ما جعل علماء التربية الحديثة يؤكدون على تعليم الطفل العبارة قبل الجملة ، فالجملة قبل الكلمة ، والكلمة قبل الحرف))[1]

1-5-9- يتخذ النمو العضوي اتجاهاً طولياً من الرأس إلى القدمين ، ومستعرضاً من الجذع إلى الأطراف :

يتجه النمو في تطوره العضوي والوظيفي اتجاهاً طولياً من الرأس إلى القدمين، فينمو الدماغ أولاً ، فتنمو المناطق الأبعد من الرأس فيما بعد ، ليصل إلى

---

(1) خليفة ، د. إيلياس / مراحل النمو / ص 16 .

المناطق الوسطى والأجزاء السفلى منه . وكذلك براعم اليد تنمو قبل براعم القدمين ، ويرفع المولود رأسه بوساطة عنقه قبل أن يرفع صدره ، وقبل أن يتمكن من الجلوس .

كما يتجه النمو في تطوره اتجاهاً مستعرضاً من الجذع إلى الأطراف ، فتتكون وظائف الأجزاء الوسطى من الجسم قبل الأجزاء البعيدة عن الأطراف، وكذلك النمو المتعلق بأجهزة التنفس والهضم يسبق النمو الخاص بالأطراف والذراعين، والطفل يمسك القلم براحته كلها قبل أن يمسكه بأصابعه في وضع الكتابة الطبيعي .

أما عند الشيخوخة فإن النمو يتراجع بعكس الاتجاهات السابقة ، إذ يفقد المسن حركاته الدقيقة ثم حركاته الكبيرة .

1-5-10- يمكن تشخيص النمو المستقبلي عموماً :

بما أن علم النفس يهدف إلى إمكانية التنبؤ بالسلوك ، وضبطه ، وبما أن النمو يسير وفق خطوط عريضة ، ونظام متتابع ، بهذا يمكن التنبؤ بالنمو المستقبلي ، وذلك من خلال ((استخدام الاختبارات والمقاييس النفسية ، نستطيع أن نتنبأ بسير عملية النمو والسلوك .))[1]

إلا أن هذه الاختبارات لا تكون دقيقة تماماً ، لإمكانية وقوع ظروف ومفاجآت في حياة الفرد قد تغير مسيرة حياته كلياً إيجابياً أو سلبياً ، فقد يلجأ الفرد إلى حيلة التعويض ، أو قد يستغل إمكانياته المحدودة استغلالاً إيجابياً فيما بعد ، وقد تحصل له ظروف تمنع تفوقه ونجاحه المتوقعين في سنه المبكرة ، ليتحول إلى إنسان أقل من عادي (فقر – مرض – وفاة الأب) .

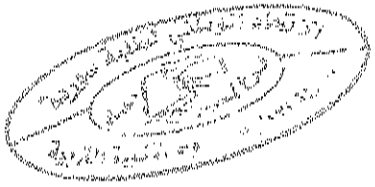

(1) المواصلة والمثابرة / مجلة البحوث (علم نفس النمو) ص 72

1-6- الفروق الجنسية في النمو والظهور :

منذ اللحظات الأولى للولادة تتضح بعض الفروق في معاملة الأهل للذكر والأنثى ، من اختيار الإسم ، إلى اللباس (أزرق – وردي) إلى مناداة الطفل في المهد من حيث نبرة الصوت ، واختيار الضمائر المذكرة والمؤنثة ، ليكتمل تفاعل الطفل مع سلوك أهله معه عندما يكبر ، فهو يكون فكرته عن ذاته منسجماً مع ثقافة ذويه ، وسلوكهم ، ومجتمعهم ، وبيئتهم .

والأهل عموماً يفرحون بقدوم الذكر أكثر من الأنثى ، ويتفاعلون معه بطريقة مختلفة عنها ، ويتعاملون مع كل منهما بطريقة مختلفة ، وكذلك سلوك الذكر يختلف عن الأنثى ، فالأنثى تميل إلى كسب محبة والديها – لا سيما والدها – وتحاول استمالة أبيها إليها أكثر ، وتستطيع أن تنجح في ذلك أكثر من الذكر الذي يميل الأهل – عند مداعبته – إلى نبرة الشدة والصخب .

– إذاً : ((الظروف البيئية والأسرية المحيطة بالطفل ذات تأثير كبير في سلوكه الجنسي المبكر ، وقد أوضحت دراسات عديدة أن فقدان الدور الصحيح للذكر أو للأنثى قد يؤثر في نموه الجنسي مستقبلاً .))[1]

إضافة إلى أن هناك فروقاً تبدأ منذ تكون الذكر أو الأنثى جنيناً ، فالذكر أكثر حركة من الأنثى ، وبعد الولادة يبدو الذكور أقل قوة ، وأبطأ نمواً من الإناث ولا سيما في ناحية النمو اللغوي ، وتعلم المشي ، وتعلم عادات التبرز والتبول في الأماكن المخصصة ، ويستمر الاختلاف حتى نهاية الطفولة المبكرة .

– كما أن نوعية الألعاب التي يمارسها الذكور تختلف عن تلك التي تمارسها الإناث ، فالأنثى تميل إلى اللعب في أجواء هادئة ، ولمدة طويلة ، وإلى اختيار اللعب بدمى العرائس ويمارسن اللعب مع بنات جنسهن باتخاذ حلقات دائرية يمارسن فيها العابهن .

---

[1] (1) د. أبو الخير / النمو من الحمل إلى الطفولة / ص 37

بينما يميل الذكور إلى استخدام الألعاب التي تدار آليا ، ويفضلون الأجواء الصاخبة التي يمارسون فيها رياضة خشنة ، ويميلون إلى العدوانية في اللعب مع بعضهم بعضا ، ومدة لعبهم تكون قصيرة غالبا .

1-7- أقسام النمو

1-7-1 النمو الجسمي :

يمكن تعريفه بأنه:((جملة التغيرات التي تطرأ على الكائن الحي في كافة المجالات الوظيفية والتكوينية .))[1]

يتكون الانسان من عدد كبير من الخلايا ، تعمل كل منها في تناسق وتآلف ووحدة ؛ لينتج أنواعا أساسية من الأنسجة المختلفة التي تتكاتف فيما بينها لتؤلف أنظمة عضوية ومعقدة تجعل الجسد قادرا على القيام بوظائفه الأساسية والمعقدة من حركة ، وتفكير ، وإحساس ، ومعاناة ، وألم ، وفرح .....

ويمكن تقسيم النمو الجسمي إلى قسمين :

1 – نمو تكويني بنائي : يتعلق بوزن الجسم ، وطوله ، وشكله ، وحجمه .

2 – نمو وظيفي فيزيولوجي : يتعلق بنمو وظائف الأعضاء المختلفة في الجسم من حيث الحركة ، والحس ، والعقل ، والانفعال ، وتكامل هذه الأمور وانسجامها مع غيرها .

والنمو الطبيعي لدى الأطفال يلزمه مجموعة من المتطلبات أهمها الغذاء ، والبيئة الصحية ، والمتطلبات الاجتماعية والنفسية ، وعلى هذا يحدث تداخل بين النمو الجسمي والعقلي والسلوكي عند الأطفال في مختلف مراحلهم العمرية التي يمرون بها ، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل :

---

(1) د. عواطف وزهران / سيكولوجية الطفل (علم نفس النمو) ص 137 .

1-7-1-1 النمو والتطور الجسمي في مرحلة الحمل :

يزداد معدل النمو في هذه المرحلة أكثر من غيرها وذلك في الأشهر الستة الأولى من حيث طول الجسم ، لتقع على النسبة الأعلى في زيادة الوزن في الشهرين الأخيرين منه ؛ إذ يزيد وزن الجنين (200غ) أسبوعياً .

فالبويضة عندما تعشش في جدار الرحم تكون بلا وزن ؛ لتنتهي إلى (3كغ) عند الولادة ، وطول يعادل (47) سم وسطياً ، فالزيادة بمعدل (11مليون مرة) من لحظة الاخصاب إلى الولادة ؛ التي يجابه من خلالها أول تطور يحدث له، إذ ينتقل من الرحم الذي كان يتنفس فيه الأوكسجين من خلال المشيمة إلى الاعتماد على رئتيه في التنفس ، وذلك عن طريق الضغط والتحريض من قبل الطبيب بعد الولادة مباشرة ليملأ هو بصلاته الهوائية ، وتبدأ عملية التنفس .

1-7-1-2 النمو والتطور الجسمي في مرحلة الرضاعة :

يصل حجم دماغ الطفل مع نهاية عامه الأول إلى ما يعادل نصف حجمه في المراهقة ، وتبدأ أعضاءه التناسلية بالنمو البطيء ، لينشط نموها في مرحلة المراهقة ، ويكتمل نضجها في نهاية هذه المرحلة .

- ويحدث عند الطفل في مرحلة الرضاعة تطور يرافق نموه الجسمي ، يترافق مع قدرته على الإمساك بالرضاعة ، ووضعها في فمه ، وامتصاص الحليب من خلالها في الربع الأخير من عامه الأول ، وكذلك يستطيع إمساك قطع الخضار والفواكه ووضعها في فمه .

- كما ينتقل الطفل من مرحلة الحبو إلى المشي ، إلى مطلع الدرج في السنة العمرية الأولى من حياته .

1-7-1-3 النمو والتطور الحركي :

في هذه المرحلة تتطور الحركات البسيطة التي كان يمارسها الطفل في الشهور الأولى ، فهو كان لا يستطيع الجلوس ، ولكنه انتقل إلى الجلوس ، ثم الحبو ، ثم المشي ، ثم الجري .

والسلوك الحسي المبكر الذي يقوم به الطفل في المراحل العمرية الأولى ليس اختياريا ، وإنما هو استجابة لمثيرات لا يستطيع التحكم بها ، ومع مرور الوقت تزداد قدرته على التحكم بالحركات الاختيارية المنظمة ، مثل قدرته : على القفز والجري السريع وغير ذلك .

1-7-2 النمو العقلي :

مع ولادة الطفل تكون معظم حواسه جاهزة للعمل ، عدا حاستي السمع والبصر ، لأن نضجهما يتأخر ، وكل واحدة منهما تعمل منفصلة عن الأخرى في البداية ولكن مع استمرار عملية النمو عند الطفل يصبح هناك انسجام وتوافق ونظام في عمل كل الحواس مجتمعة .

وكلما كان توافق الحواس منسجما منع الحركة كلما كان الطفل أكثر ذكاءً .

والنمو المعرفي جزء من النمو العقلي ، الذي يمكن أن نعرفه بأنه ((القدرة على التفكير المتنامي ، ولا يمكن أن يحدث التفكير بمعزل عن المدركات في البيئة ، والإدراك عملية عقلية مرتبطة بالإحساس ولكنها تختلف عنه ، أي أن المدركات تنتقل إلى الدماغ عن طريق الحواس ، فيميزها ويضعها في بنك خبراته للاستفادة منها في المواقف المثيلة مستقبلاً .))[1]

[1] (1) : أبو الخير / النمو من الحمل إلى الطفولة / ص 40

1-7-2-1- النمو الانفعالي :

تحل الاستجابات الانفعالية الفطرية عند الغضب محل الحمية ، وتمتاز بالحدة والمبالغة ، فيصبح الطفل شديد الغيرة والغضب والعناد ، وشديد التنوع والتقلب من انفعال إلى آخر [من البكاء إلى الضحك] وتكون انفعالات الأطفال في هذه المرحلة مركزة حول الذات ، مثل الخجل ، والشعور بالنقص ، والشعور بالذنب ، والثقة بالنفس.

1-7-3-2-النمو الاجتماعي :

تقوم الأسرة بدور مهم في تشكيل السلوك الاجتماعي لدى الطفل ، وتحديده ، وتكوين شخصيته ولا سيما في مرحلة الروضة ، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية التي يكتسب الطفل فيها سلوكه ، و عاداته ، وقيمه ، وأدواره المهمة في الحياة ، وكيفية التعامل مع الآخرين .

1-7-3-3-النمو اللغوي :

يبدأ المحصول اللغوي بالزيادة عند الطفل عندما ينطق كلمته الأولى ، ويبدأ ذلك عشوائياً عند الطفل ، فيربط بين العشوائية الصوتية والعشوائية المرئية ، ثم يربط بين الشكل والاسم ، فإذا تغير الشكل لم يعرف الاسم .

ويكون لدى الطفل القدرة على السيطرة على مهارة النطق عندما يصل إلى عمر سنة ونصف ليزيد محصوله اللغوي كثيراً عندما يصل إلى عمر عامين .

وهناك عوامل تؤثر في النمو اللغوي عند الطفل ، وفي كمية محصوله اللغوي وقدرته على استخدام هذا المحصول استخداماً سليماً ، ومنها [1]:

1 - الذكاء : فهو قدرة عقلية تعين الطفل على اكتساب المقدرة اللغوية

---

[1] خليفة ، إيناس ، مراحل النمو – ملخص ص 48-49

2- سلامة الجسم والحواس : فالكلام مهارة تشارك فيها العديد من أعضاء الجسم مثل:

الحنجرة ، والرئتين ، والحجاب الحاجز ، واللسان ، وكذلك مركز الكلام في المخ ، إضافة إلى سلامة السمع والبصر ، لأن الكلام يعتمد على الربط بين المثيرات الصوتية ، والمثيرات الحسية السمعية .

3- المثيرات البيئية الثقافية المحيطة بالطفل :

فالبيئة الغنية بالمثيرات الثقافية ، والتي تتوافر فيها الكتب والمجلات ، والجرائد والإعلام ، والمناقشات العلمية والثقافية بين أفراد الأسرة تختلف عن تلك البيئة الفقيرة بهذه الأمور ، لذا يكون الطفل الذي يعيش في البيئة الغنية ثقافياً أكثر قدرة على اكتساب المهارات اللغوية .

4- الحرمان العاطفي عند الطفل :

يؤثر الحرمان العاطفي في النمو اللغوي عند الطفل ، فبيتاقمس مثلاً عند الأطفال المحرومين من عطف الوالدين (أطفال الملاجئ – الأيتام)

1-7-4 النمو الأخلاقي :

((السلوك الخلقي : هو السلوك الذي يؤمن به المجتمع من حيث التزام أفراده بالقواعد والمعايير الأخلاقية .))[1]

والنمو الأخلاقي السوي عند الطفل يتضمن مرحلتين ، الأولى : في التزامه بالصواب ، ومقاومة الإغراءات ، والتمسك بالفضيلة ، والثانية : شعور الطفل بالذنب ، والقلق ، إذا ارتكب عملاً يخالف قواعد الأخلاق المتبعة في المجتمع .

---

[1] (1) خليفة ، ليلى ، مراحل النمو – ملخص ص 68

والطفل في سلوكه الأخلاقي يتطور عبر مراحل تكوين العلاقات الاجتماعيـــة الطبية التي يحاول من خلالها إرضاء الجماعة التي حوله ، وأخيراً : مرحلة الاعتمـــاد على المبادئ الأخلاقية التي تنبع من ضميره ، ومبادئه الأخلاقية السائدة في المجتمع.

الفصل الثاني

الاتجاهات النظرية الرئيسية في مجال سيكولوجية الأطفال والمراهقين (نظريات النمو والتطور) :

1- نظرية التحليل النفسي-النمو النفسي الجنسي-(سيجموند فرويد)

2- نظرية " جان بياجيه " في النمو العقلي المعرفي .

3- الاتجاه السلوكي - المثير والاستجابة

4- النظرية التحليلية النفسية - الاجتماعية (أريك اريكسون)

5- نظرية " كولبرج " في النمو والتطور الأخلاقي .

6- التطبيقات التربوية لنظم نظرية النمو .

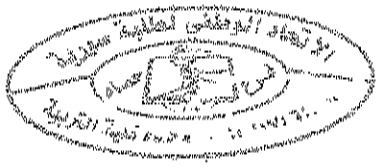

الفصل الثاني

الاتجاهات النظرية الرئيسية

في مجال سيكولوجية الأطفال والمراهقين

(نظريات النمو والتطور)

2-1- نظرية التحليل النفسي - النمو النفسي الجنسي - (سيجموند فرويد) :

.. تقوم نظرية التحليل النفسي عند فرويد على أن : الطاقة الغريزية التي يولد الطفل مزوداً بها تمر بأدوار محددة في حياته ، والنضج البيولوجي هو الذي ينقل الطفل من دور إلى آخر ، لكن المواقف التي يمر بها قد تؤثر في النتاج النفسي لهذه المراحل ، وتحدد مدى انتظام سير هذه الطاقة في خطها الطبيعي المرسوم، أو تعثرها في سيرها ، أو تخلفها ، وهذا التخلف أسماه فرويد : التثبيت ؛ الذي يعود إلى عوامل ذات طبيعة اجتماعية ، وأهم هذه العوامل : الاشباع الزائد في سني المهد و الطفولة ؛ الذي يتلذذ به الطفل ، ولا يريد أن يتركه ، لكن نمو الطفل يتزايد وذلك بعد أن يتخلص من قدر كبير من الطاقة الليبيدية في مرحلة التثبيت .

إضافة إلى الإحباط الذي يجعل الطفل يجد صعوبة في تخطي هذا المستوى ، فهو عندما ينقل إلى المستوى التالي لا يجد في المستوى الأول ، فيتخبط بين الإشباع المسرف والإحباط الزائد فيتشكل لديه أهم عامل من عوامل التثبيت .

فإذا لم يتم تثبيت الطاقة الليبيدية في أية مرحلة ، وواصلت سيرها ؛ فإن الطفل ينتقل من مرحلة سيكولوجية إلى المرحلة التي تليها ، ليستمد اشباعه لطاقته الغريزية في كل مرحلة من خلال عضو معين من أعضاء جسمه وقد سمى فرويد كل مرحلة من المراحل النفسية باسم العضو الذي يستمد منه الطفل اشباعه ، وبهذا وزعت مراحل النمو النفسي عند فرويد وفق ما يلي :

2-1-1 - المرحلة الأولى - الفمية المبكرة- الرضاعة : *In famile stage*

وتشمل النصف الأول من العام الأول من حياة الطفل ، وتتركز حياة الطفل في هذه السن حول فمه ، ويتعرف المحيط الخارجي من خلال لذته في المص ، وقد يعمد إلى وضع إصبعه أو جزء من يديه في فمه ، ومصه ، ويكون الإشباع النموذجي لديه من خلال مص ثدي الأم .

وعندما يغيب عنه الثدي فإنه يضع اصبعه في فمه بديلاً عنه ، وتسمى هذه المرحلة : مرحلة الإدماج القائمة على الأخذ .

2-1-2 - المرحلة الثانية - الفمية المتأخرة :

وتمتد نصف الثاني من العام الأول ، ويتم التركيز الغريزي فيها على الفم أيضاً ، ولكن بنية تطور ، ويحصل عليها هذه المرة من خلال العض وليس المص ، وهذا بسبب التوتر الناتج عن عملية التسنين ؛ إذ يحاول الطفل أن يعض كل ما يصل إليه .

وفي هذه المرحلة يحصل أول احباط للطفل عندما يحاول أن يعض ثدي أمه ، فتسحب أمه الثدي من فمه ، وقد تعاقبه بضربة صغيرة ، أو بصراخ ألم ، فيقف حائراً بين ميله إلى اشباع رغبته في العض ، وبين خوفه من عقاب أمه أو غضبها ، وهذا يعد عقاباً سلبياً ، وتسمى هذه المرحلة : مرحلة الإدماج ، وتقوم على الأخذ والاحتفاظ ويصبح الطفل في هذه المرحلة ثنائي العاطفة ، يحب ، ويكره في الوقت نفسه للشخص نفسه .

2-1-3 - المرحلة الشرجية *Anal stage* -مرحلة الطفولة المبكرة : *Toddler stage*

تتصب اهتمامات الطفل في هذه المرحلة على الاستمتاع بعملية الإخراج ، فيتركز حصوله على لذته ومتعته على المنطقة الشرجية حين التبرز ، والبولية عند التبول ، واللذة التي يجنيها الطفل في هذه المرحلة تكون من خلال الطفل ذاته ، وميله نحو الاستقلالية، وعندما يعمل الوالدان على تنظيم عملية الإخراج فإن الطفل يستجيب لهما ؛ إرضاءً لهما من جهة ، وتنظيماً لعملية الاستمتاع نفسها من جهة أخرى ، ومن ثم يبدأ بتكوين [الأنا] من أجل تنظيم العلاقة بين [الأد] : الذي يمثل الرغبات الجنسية الحيوانية ، وبين الواقع المحيط به .

2-1-4- المرحلة القضيبية : *phallic stage* – مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية : *pre school stage*

هذه المرحلة يسميها فرويد : المرحلة الجنسية ، إذ تتركز اهتمامات الطفل على الحصول على اشباعاته الجنسية من المناطق الجنسية ، وتستمر هذه المرحلة من (2-6) سنوات، وهذه المرحلة تسمى كذلك ليس بسبب انتقال المتعة عند الطفل من الأعضاء الشرجية إلى التناسلية ، بل لأن العضو الجنسي عند الذكر يصبح مركز اهتمام لديه ، وتتحول الرغبة من الإشباع الجنسي إلى الإعجاب الجنسي بأعضائه ، ويتوقع الطفل أن تزداد معرفته بالجنسين (ذكور – إناث) .

2-1-5 - مرحلة الكمون : *Latency stage*-

مرحلة المدرسة الابتدائية : *school Age Child*

في هذه المرحلة يبدأ الطفل الذكر بتقمص شخصية والده ، والأنثى شخصية والدتها ، وهذا التقمص يتضمن كل شيء من أعمال ، وأفكار ، وآراء ، ومعتقدات ، وهنا تبدأ مرحلة [الأنا العليا] في التحدد ، وفي هذه المرحلة يقل اهتمام الطفل بالجنس

ويميل إلى الذكور من جنسه ، وتميل الفتيات إلى مثيلاتها ، وتستمر هذه المرحلة حتى بداية فترة البلوغ (11-12) سنة .

2-1-6- المرحلة الجنسية الراشدة : *Genital Staye*

مرحلة المراهقة : *Adole sesencerce Stage*

تعد هذه المرحلة امتداد للمراحل السابقة ، إذ يبدأ فيها الميل إلى الجنس الآخر ، لتصل النفس إلى مرحلة [الذات العليا]، وتبدأ هذه الذات بتأكيد وجودها ، فتبدأ جامدة متسلطة ، ثم تظهر مرونتها مع النضج الكامل .

ويروي فرويد من خلال استعراض المراحل كلها – أن نمو شخصية الفرد مرتبط في كل مرحلة من مراحل نموه المتتابعة بإشباع تام لرغباته ، وبطريقة لا تؤجج الصراع لديه ، مما يؤدي إلى ظهور شخصيته سوية بعيدة عن الاضطراب السلوكي .

أما وجود العقبات خلال مراحل النمو المختلفة فإنه سيؤدي إلى تعرض الفرد إلى الإحباط ، والصراع ، والاضطرابات السلوكية ، وبالتالي سينتج عنه عدم استقرار مصحوب بالعدوانية ، والشعور بالاضمحلال ، واللجوء إلى عالم الخيال ، ليسبح في عالم اليقظة حتى يغرق في أوحال الواقع وهو جالس في مكانه .

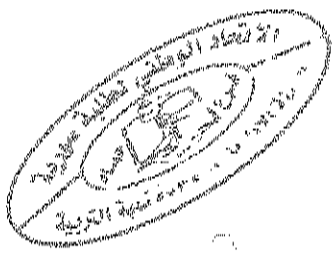

2-2- نظرية (جان بياجيه) في النمو العقلي المعرفي :

... تقوم هذه النظرية – مشتركة مع الاتجاه التحليلي – على أساس أن الطفل له نظام سيكولوجي ، كما أن له نظام بيولوجي ، وأن الطفل يولد مزودا ببعض الدوافع الفطرية ، وباتجاهات موروثة للنمو ، وقد تفصح عن نفسها في وقت من الأوقات ؛ ولكن هذا الإفصاح يتأثر شكله بالخبرات التي يمر بها الطفل ، وكذلك فإن النمو ليس مجرد تغيرات كمية متعاقبة ، بل هو تحولات كيفية ، وينتج هذا التحول الكيفي من تراكم التغيرات الكمية حتى يصل إلى نقطة يحدث فيها هذا التحول ، الذي لا يعني

اكتساب الطفل اسلوباً سلوكياً معيناً ، بل اكتسابه بنية سلوكية ، أو مستوى معيناً من التنظيم السيكولوجي .

ويمكن تمييز أو تحديد اتجاهين نظريين داخل النموذج البنيوي هما :

2-2-1-الاتجاه الأول :

يعتمد مراحل النمو على بعض الخصائص والمميزات أو الملامح السلوكية التي تظهر في سن معينة ، ويمثله أرنولدجيزل الذي وضع معايير سلوكية للأعمار وذلك من خلال كتاباته التي وضع فيها أهم المظاهر السلوكية في الجوانب الجسمية ، والعقلية ، والانفعالية ، والاجتماعية للأعمار المختلفة بدءا من الرضاعة إلى سن المراهقة .

2-2-2-الاتجاه الثاني :

يحدد المراحل بناء على ظهور الأبنية العقلية ، وليس على أساليب سلوكية مفردة ، وهذا الاتجاه يمثله : جان بياجيه ، الذي أسهم في وضع اتجاهه في مكانة مرموقة بين بقية الاتجاهات ، وذلك لأنه قدم منهجية كبيرة في فهم تفكير الأطفال بمختلف أعمارهم ، وملامحهم بالكيفية التي يجيب بها التلاميذ على أسئلة اختبار الذكاء ، واهتم بالإجابات المغلوطة ، وعد القصور في الاجابة لا يعني قصوراً في الذكاء بقدر ما يعكس أسلوب التفكير ، أو الطريقة التي يعمل بها الذكاء في هذا السن ، وعد الفرق بين الطفل والراشد إنما هو فرق كمي وليس كيفياً .

وقد اعتمد في نظريته على الأسئلة السابرة في البحث والاستقصاء (الطريقة الإكلينيكية) التي تكشف حقيقة مستوى تطور التفكير عند الطفل ، فهو يرى أن الأطفال يعرفون أكثر مما يتكلمون .

وهو ينظر إلى التطور المعرفي من منظورين هما : البنية العقلية *structures* والوظائف العقلية *functions* ، ويرى أن النمو المعرفي لا يتم إلا بمعرفتهما ، ويرى أن البناء العقلي يشير إلى حالة التفكير التي توجد لدى الفرد في مرحلة ما من مراحل

نموه ، أما الوظيفة العقلية فتشير إلى جملة العمليات التي يلجأ إليها الفرد عند تفاعله مع مثيرات البيئة التي يتعامل معها ، لذا فهو يعد الوظائف العقلية هي التي تتغير مع تقدم العمر ، وبالتالي يمكن قياسها في اختبارات الذكاء .

وبما أن بياجيه عالم بيولوجي ؛ فهو يتأثر في إرساء دعائم نظريته باختصاصه، ويطبق المفاهيم البيولوجية في فهمه للذكاء ، ويرى أن للتكيف وظيفتين ثابتتين لا تتغيران مع تقدم العمر ، وهما :

1 - التنظيم :

إذ تتمثل وظيفة التنظيم في نزعة الفرد إلى ترتيب ، وتنسيق العمليات العقلية في أنظمة كلية متناسقة ومتكاملة .

2 - التكيف :

إذ تمثل نزعة الفرد إلى التلائم و التآلف مع البيئة التي يعيش فيها، وهاتان الوظيفتان تقومان بعمل اساسي في بقاء الكائن الحي واستمراره .

ويرى بياجيه أن التكيف يقوم على أساس عمليتين متكاملتين هما :

1 - التمثل :

وهو عبارة عن نزعة الفرد لدمج أمور العالم الخارجي في بنائه العقلي ، أو التراكيب الموجودة لديه لتناسب ما يعرفه .

2 - الاستيعاب :

نزعة الفرد لاعتبار استجابته ، وذلك ليتلائم مع البيئة المحيطة به ، ويواجه مطالبها .

وهاتان العمليتان متكاملتان ، و ((تحقيق التوازن بينهما ضروري من أجل التكيف الجيد ، ومن أجل تطور ذكاء الطفل ، ومن هنا تبرز أهمية فكرة التوازن ...

عند بياجيه في نمو الذكاء ، فبياجيه ينظر إلى الذكاء على أساس أنه نوع من التوازن تسعى إليه كل التراكيب العقلية ، أي تخفيف الاتزان المتناسق بين العمليات العقلية والظروف المحيطة بالإنسان ، ولهذا يعد الذكاء موروثا وصعب القياس ، فالذكاء بناء على كل ذلك يشتمل على التكيف البيولوجي ، وعلى التوازن بين الفرد ومحيطه ، وعلى النشاط الفعلي الذي يجريه الشخص .))[1]

2-2-3-الاتجاه السلوكي (المثير والاستجابة) :

يعتمد هذا الاتجاه على البيئة ، إذ يرى أن سلوك الكائن الحي يتحدد بوصفه استجابات لمثيرات البيئة لديه ، وهذه الاستجابات تبقى وتستمر لتصبح جزءا من سلوك الكائن الحي ، وغالباً ما تكون هذه الاستجابات للأشياء المرغوبة والمحببة ، والتي تركت أثراً طيباً في النفس بعد حدوث سلوك معين، بينما يحذف الاستجابات التي أعقبها نتائج مؤلمة أو غير مرضية ، وذلك ليقلل من تكرار الاستجابة .

وفكرة تحديد البيئة للسلوك كان لها جذورها عند أرسطو الذي أشار إلى أن الطفل يولد ويكون عقله عبارة عن صفحة بيضاء يدون عليها فيما بعد الانطباعات الحسية ، وقد نبتت هذه الفكرة فيما بعد المدرسة الانكليزيه التجريبية ، والتي كان رائدها جون لوك ، ثم هيوم ، ثم جيمس مل ، وهؤلاء جعلوا الخبرات الحسية هي المصدر الأساسي للفكر والسلوك .

وقد تبلورت أسس هذه النظرية في القرن العشرين ، من خلال الدراسة العملية لسلوك الحيوان الذي قام بها إيفان بافلوف الطبيب الروسي ، وويتشريف ، و ثورندايك الذين أوضحوا أنه ((ليس من الضروري أن نعتمد على التفكير كسبب لسلوك الحيوان ما دام يمكن تفسيره بالتجاور أو بالإشراط بين المثيرات والمكافآت .))[2]

---

[1] (1) العواملة والمزاهرة / سيكولوجية الطفل (علم نفس النمو) / ص 48

[2] (1) العواملة والمزاهرة / سيكولوجية الطفل (علم نفس النمو) / ص 44

وكان لجون واطسون الفضل الكبير في وضوح هذا الاتجاه ، وكانت جهوده هي العامل الأساسي وراء إنشاء هذه المذاهب ، إلا أنه اختلف مع بقية الفلاسفة الترابطيين في أنه دعا إلى اقتصار موضوع علم النفس على التداخلات البيئية والاستجابات التي يمكن ملاحظتها من خلال سلوك الكائن الحي ، أما الأمور التي لا يمكن ملاحظتها فإنها لا تصلح موضوعا لعلم النفس ، الذي يجب أن يتمسك بالتقاليد العلمية للعلوم الطبيعية ، ويترك السلوكيات لحين ضبطها وملاحظتها والتحكم بها .

وهناك مبدأن أساسيان في النموذج السلوكي هما :

1- المبادئ التي يتغير على أساسها السلوك عند كل الكائنات الحية واحدة ، وعندما يتغير سلوك الإنسان من خلال التعلم أو النمو ؛ فإنه يتغير بسبب المبادئ التي يتغير من أجلها سلوك الحيوان .

2- الفروق بين أساليب السلوك المعقدة والبسيطة يكون في الدرجة أكثر مما يكون في النوع ، وهما محكومتان بالمبادئ نفسها .

4-2- النظرية التحليلية النفسية - الاجتماعية (أريك أريكسون) :

يعد أريك أريكسون - وهو من تلاميذ مدرسة التحليل النفسي - من المعارضين لفكرة طاقة الليبيدو بمعناها الجنسي ، ومضمونها الخاص بدافع البقاء ، ودافع الاعتداء وكان من المنادين بأهمية الأحداث الاجتماعية في النمو ، و هدف النمو لديه يكمن في ((تنمية شخصية تتوافق والواقع الاجتماعي ، وفي هذا ما يجعله يؤكد دور المجتمع والعلاقات بين الأفراد في النمو الفردي ، وفي هذا ما يخالف رأي (فرويد) الذي اشار إلى ايجاد شخصية تتوافق مع ذاتها .

ويرى أريكسون أن نمو الشخصية يتم وفق خطوات مسبقة على أساس استعداد الكائن الحي لتعرف المجتمع المحيط به ، والتفاعل معه ، حيث يسير النمو في مراحل تتصاعد فيها المشكلات والصراعات التي تتم بين حاجات الفرد والمتطلبات الاجتماعية .))[1]

ولكل مرحلة من مراحل النمو نمط معين بين الصراع الذي يتم حله تماماً ، أو بحل بطريقة مرضية ، وذلك قبل أن يتم الانتقال إلى صراعات المرحلة التالية ، والاخفاق في أحد هذه الأنماط الصراعية قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية ربما أخذت أشكالا اجتماعية .

وقد قسم اريكسون المراحل التي يمر بها الفرد في صراعاته النفسية إلى ثماني مراحل ، لكل مرحلة سلبياتها وإيجابياتها ، وهي كما يلي :

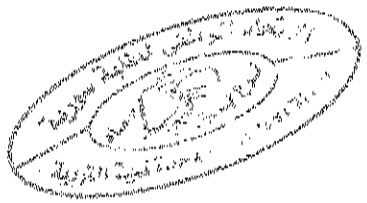

(1) د. سيد أحمد ، عبد المجيد و د. الشربيني ، زكريا أحمد / علم نفس الطفولة / ص 53

2-4-1-الإحساس بالثقة مقابل الإحساس بالشك : بين (1-2) سنة

في هذه المرحلة يتعلم الطفل أن يثق أو لا يثق ، وذلك في السنتين الأولى والثانية من عمره ، ويعود ذلك إلى اشباع حاجات الطفل عن طريق أمهات حنونات محبات يعلمن أو لا من الثقة ، وإلا انعدمت هذه الثقة بوجود أمهات لا مبالبات ، أو بديلات .

2-4-2-الإحساس بالاستقلال مقابل الاحساس بالخجل : من (2-3) سنوات

تتصف هذه المرحلة بالاستقلال الذاتي أو الشك ، ولكن حسب اعتماد الطفل على أمه كليا أو جزئيا ، ومن هنا قد يتعلم الطفل التحكم في البيئة بنجاح ، وذلك إذا دعم تدعيما مناسبا من قبل الآباء والمربين ، ولكن على ألا يصل هذا التدعيم إلى حد الإفراط والحماية الزائدة التي قد تعلم الطفل الخوف من البيئة ، وبالمقابل فإن ضعف الرعاية والحماية للطفل قد ينتج خبرات غير سارة وقد تنتج مخاوف مشابهة للحالة الأولى .

2-4-3-الإحساس بالمبادرة مقابل الاحساس بالذنب : من (4-5) سنوات

في هذه الحالة ينمو الشعور بالذنب ، وذلك بسبب استجابات الأفراد من حوله، ومدى ردود أفعال الأطفال تجاه المثيرات البيئية المحيطة به ، وطبيعة الخبرات البيئية التي اكتسبها هل كانت مؤذية أو مولمة، وهذه المرحلة تقابل المرحلة الجنسية التناسلية لدى فرويد .

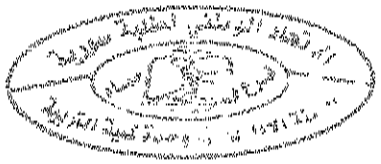

2-4-4-الإحساس بالانجاز مقابل الإحساس بالنقص : من (7-11) سنة

في هذه المرحلة ينمي الطفل إحساس الكفاية مقابل الإحساس بالدونية، ويرتبط الطفل في هذه المرحلة بأقرانه ، ويتعامل بالقواعد والأعراف ، ويؤدي المهام الدراسية بنجاح مقابل مكافأته ، مما يشعره بالكفاية ، بينما الإخفاق في التعامل مع البيئة ، يؤدي إلى الإحساس بالدونية .

2-4-5-الإحساس بالهوية مقابل اضطراب الدور : من (12-18) عاما

تبدأ هذه المرحلة مع المراهقة عندما يبدأ المراهقون في البحث عن هويتهم وذواتهم ، فإن لم يتمكنوا من تحقيقها وقعوا في شيء من الارتباك وخلط الأدوار ، أما إذا أحسنوا التفاعل مع العالم المحيط بهم ، وتكيفوا معه ، فإنهم سيتمكنون من تحقيق هويتهم ، وبالمقابل فإن المجتمع سيحميهم من خطر الدوافع البيولوجية ، ويجعلهم قادرين على السيطرة عليها .

2-4-6-الإحساس بالألفة مقابل العزلة :

هذه المرحلة مرتبطة بما قبلها فتكوين الهوية يوفر القدرة على إنشاء علاقات الود والتآلف مع الآخرين من الجنس نفسه أو من جنس آخر ، وإلا فإن المراهق سيعيش في عزلة نفسية ، وتبقى علاقاته مع الآخرين سطحية وينقصها العفوية والدفء .

2-4-7-الإحساس الوالدي مقابل الإحساس بالانطواء على الذات :

في هذه المرحلة يصل الفرد إلى درجة كافية من النضج ، ويكون جاهزا للإحساس الوالدي الذي يتشكل عبر انجاب الأطفال ، والعناية بهم ، ويبرز هذا العنصر من خلال الرغبة في حماية الطفل ، والقدرة على العطاء و البذل تجاهه ، و الرعاية له والحنو عليه .

بينما الإخفاق في تنمية هذا الإحساس يجعل الفرد أنانياً في طبعه وشعوره ، ويميل إلى منافسة الأطفال في أخذ الرعاية والحب من أمهم ، وسبب هذه الشعور يعود إلى عدم تلقي الفرد الحب والعطف ، والرعاية الكافية في طفولته، إضافة إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي يتعامل معها الفرد ، والتي تشعره بالإحباط والإخفاق .

2-4-8-الإحساس بالتكامل مقابل الإحساس باليأس :

يأتي هذا الإحساس من خلال تقبل الفرد لدوره في الحياة ، وحبه للآخرين مع معرفته بعيوبهم ونواقصهم وقدرته على مواجهتهم بها ، بينما الشخص الذي يفتقد هذا الشعور يشعر بعدم جدوى حياته ، ورغبته في إعادة صياغتها ثانية مما ينعكس على شخصيته باليأس والاشمئزاز والسخط العام .

2-5- نظرية (كولبرج) في النمو والتطور الأخلاقي :

تابع كولبرج الاهتمام بنظرية (بياجيه) في النمو العقلي ، وطبقها عبر دراسة ميدانية طويلة الأمد استمرت عشرين عاماً ، وذلك بقصد معرفة أثر التفكير في النمو الأخلاقي عند الفرد ، وقد أخذ عينة مؤلفة من (50 شخصاً) أعمارهم بين (10-16) سنة ، وكان يقابلهم كل ثلاث سنوات مرة، وخلص من دراسته إلى القول : إن أخلاق الفرد تمر بثلاثة مستويات وينقسم كل مستوى إلى مرحلتين ، وأكد أن من غير الضروري استمرار الفرد في النمو لكي يصل إلى أعلى المستويات ؛ فقد يتوقف عند مستوى [المثالية المطلقة] وهذه المستويات تكون كما يلي :

2-5-1-مستوى ما قبل التقيد بالعادات والتقاليد :

pre- Conventiona Level

يضم هذا المستوى الأطفال دون التاسعة من العمر ، وقد ينضم إليهم بعض البالغين والمراهقين ، وفي هذا المستوى تتركز الأحكام الأخلاقية حول الذات ، فتوصف الأفعال بالسوء أو الصلاح ، وبالخطأ ، أو الصواب ، تبعاً لما تسببه الأفعال من شعور بالمتعة والانشراح ، أو شعور بالألم أو ارتباطها بالثواب أو العقاب ، وهو في حالة النفع فإنه يذعن للقوة ويكون محسباً في ذلك ، ولهذا المستوى مرحلتان هما :

أ - مرحلة التكيف للثواب والعقاب :

في هذه المرحلة يميز الأطفال بين الجيد والرديء من الأفعال والأقوال ، وذلك نتيجة تفاعلهم مع مواقف الحياة الإجتماعية ؛ فهم يتجنبون العقاب ويذعنون إلى القوة المنظمة لأخلاقهم بلا تردد ، من غير وجود تصور لأهمية النظم الأخلاقية .

ب - مرحلة التكيف الأناني الساذج :

يقوم سلوك الطفل الصحيح في هذه المرحلة على أساس تبادل الإمتيازات من أجل تأمين الحاجات والمتطلبات الشخصية ، أو حاجات الآخرين أيضاً ، وهو يستجيب استجابة عفوية لما يحقق حاجات النفس ومتعها ، ويمكن تفسير عدم تبادل اللطف أو المودة ، وعدم المساواة والواضحة بسبب القسوة والتحجر في الأخلاق .

2-5-2- مستوى التقيد بالأعراف والتقاليد : *the Conventional level*

ينشغل الأطفال والمراهقين في هذه المرحلة بتطوير أنفسهم ، وتنمية مشاعرهم وفقاً لتوقعاتهم للأحكام الأخلاقية التي يتبناها الآخرون من حولهم ، مما يجعلهم يسلكون سبل تطبيق الاحكام المدعمة من قبل الأسرة والمجتمع من دون اعتبار لنتائجها ، وهذا المستوى فيه مرحلتان هما :

أ- مرحلة الانسجام وتوافق العلاقات بين شخصية (ولد جيد – فتاة جميلة) :

يكيف المراهق سلوكه حتى يكون سلوكاً مرحباً به من قبل الآخرين ، وذلك لكونه ايجابياً يستحق الثناء والمديح ، ولا سيما إذا كان يحقق رضا الأسرة والمجتمع ، عن أخلاقه ، وتوجهاته في علاقاته الاجتماعية حتى يصل إلى أن يقال عنه [ولد جيد – فتاة جميلة] .

ب- مرحلة التكيف لمراعاة النظم والقوانين الاجتماعية :

يراعي الفرد في هذ المرحلة إطاعة القوانين ، ويظهر احتراماً للسلطة الاجتماعية ، ويراعي القيام بالمهام المستوجب عليه القيام بها .

3-5-2-مستوى ما بعد التقيد بالأعراف (الاستقلال)

principled Level

يصل الأطفال في هذا المستوى إلى مرحلة الاستقلال الفكري ، الذي يجعلهم يمارسون القيم والأخلاق القابلة للتطبيق ، والتي تكون مستمدة من الأفراد و الجماعات مما يجعلهم يلتزمون بها بعد ايمان مطلق بها ، ولهذا المستوى مرحلتان هما :

أ- مرحلة التكيف المبدئي للعقد الاجتماعي :

هذه المرحلة تعد مرحلة تكيف لمبادئ العقد الاجتماعي ، مع تمييز الأعراف الاعتباطية في الأحكام والقوانين ، وتأكيد الالتزام المتبادل في ضوء العقد الاجتماعي ، و في هذه المرحلة يدرك الفرد معنى الاختلاف في الرأي ، والاتفاق في الرأي حول الأمور الأخلاقية الأساسية .

وأعلى تطور يصل إليه الفرد في هذه المرحلة عندما يمتلك القدرة على اختيار المبادئ الأخلاقية التي تقوده إلى إتخاذ القرارات الصحيحة .

ب – مرحلة التكيف طبقاً لمبادئ الضمير الكلية و الثابتة :

يتحرر الفرد في هذه المرحلة من جميع الاعتبارات التي تفرضها الأعراف والعادات والتقاليد ،وينطلق من حقيقة اساسية لديه هي [العدل] ، وذلك في السلوك ، وبذلك يكون قد وصل إلى قمة النضج الأخلاقي ، ويصبح قادراً على معرفة الخطأ من الصواب بحسب تطابقهما مع المبادئ التي يختارها الفرد ، والتي تأخذ طابعاً شاملاً وثابتاً ، وتهتم بالمساواة واحترام الآخرين على كل فإن ((وظيفة التربية الأخلاقية هي : تسهيل نمو الفرد خلال هذه المراحل بقدر ما تسمح به الامكانات كليهما ، وإذا توقف الفرد عند مرحلة معينة فعلى التربية الأخلاقية أن تعمل ما بوسعها لاستمرار ارتقائه وتطوره نحو المرحلة التي تليها .)) [1]

ويرى كولبيرج أن هذه المرحلة لا تقتصر على تحديد سلسلة تطور النمو الأخلاقي وإنما تشير إلى تطور المشاعر ، والأخلاق ، والفكر ، والتدرج في هذه المستويات يكون تبعاً لتفاعل الفرد مع المجتمع ، وتسلمه سيمته فيه ، فالعامل المؤثر في التطور هو المحتوى الاجتماعي الذي تتوفر فيه صراعات الفرد والدور المهيم والمناسب الذي يمكن أن يقوم به في إعادة تركيب أحكامه الأخلاقية على الأمور .

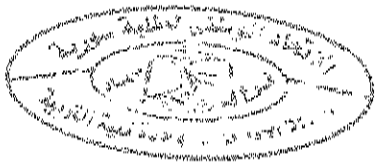

[1] (1) أبو الخير ، د. قاسم / النمو من الحمل إلى المراهقة / ص 65 ، steven C Miller , op. Cit , pp . 5-8

2-6- التطبيقات التربوية لعلم النفس :

يقصد بالتطبيقات التربوية ((ما يمكن وما يجب أن يعلمه كل من الوالدين والمدرسين والمربين عموماً ، وكل من يهمه تنشئة الفرد في ضوء دراسة علم نفس النمو ، حتى يسير نمو الفرد سوياً في كافة مظاهره ، وفي كل مراحله .)) [1]

وهذه التطبيقات تعد ميثاق العمل التربوي ؛ لأنها تعين في دراسة علم النمو ؛ إذ تعرفنا ما نتوقعه من الفرد النامي ، وتعرفنا زمن حدوث هذا التوقع ، طالما أنهما تعمل على تحقيق درجة كبيرة من النمو والتوافق في ضوء مطالب النمو في هذه المرحلة ، ولها أيضاً أهمية في ميادين شتى مثل :

((1 - أهمية الاستقرار في الظروف المحيطة بالصغير في مراحل النمو المبكرة، ولها دورها في استقرار الحياة الأسرية ، وضرورة عدم انفصال الطفل عن أمه الحقيقية أو البديلة ، لما في ذلك من أهمية بالغة في نموه النفسي والانفعالي في مختلف مراحل حياته .

2 - أخفقت التربية الجماعية للأطفال في المراحل المبكرة ، وذلك في مناطق كثيرة من العالم ، ووجد أن الإطار الأسري هو الإطار المواتم انفعالياً لنمو الطفل ولا سيما في السنوات الثلاث الأولى من عمره ، لأن تمكينه من اقامة علاقة مميزة مع أمه الحقيقية أو البديلة من أهم الأسس في نموه الانفعالي السليم .

3 - تتسارع المنجزات العلمية في شتى الميادين ، مما يتوجب علينا إعادة النظر في تربية الطفل ، وإعداده بطريقة يتمكن فيها من التكيف مع التغييرات السريعة من حوله .

كما أن هذا التغيير يلقي على الفرد أعباء كثيرة تتطلب منه مهارات عالية من المرونة وسرعة التكيف ، مما يجعل الجانب النفسي مهماً في العمل التربوي ؛ لأنه لا

---

(1) رمزي ... حسن ... تنشئة الطفل بين النمو (الطفولة والمراهقة) ص 65 .

يقتصر على العمليات النفسية المعرفية فحسب ؛ بل يتعداها إلى دراسة الجانب الانفعالي وخصائص الشخصية (الطبع – المزاج – ردود الأفعال ...) كما أن هذه التغييرات تستوجب إعداد الطفل المتمتع بخصائص شخصية معينة إضافة إلى التركيز على جوانب الدقة ، والسرعة ، والمرونة، وقوة الاحتمال، والجاهزية للعمل .))[1]

ومن أمثلة التطبيقات التربوية المفيدة أيضاً :

1 – ((العمل على رعاية النمو في كافة مظاهره ومراحله ، بهدف تنشئة جيل من الأطفال والمراهقين والراشدين ، يتمتع بصحة جسمية ونفسية واجتماعية ، إضافة إلى رفع قدرتهم على الانتاج .

2 – العمل على رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي لما له من أثر في النمو ، وذلك عن طريق إثراء حياة المواطنين ، مما يخفف من العوامل السلبية المؤثرة في نمو الشخصية .

3 – النظر باهتمام إلى العمر الزمني للفرد ، والاسترشاد بالعمر العقلي ، والتحصيلي ، واللغوي ، والقرائي ، والحسابي ، والطولي ، والوزني ، والنفسي والانفعالي ، والاجتماعي ، والجنسي ... لأن لكل منها دوراً معيناً يؤثر في نمو الشخصية ، وعمرها .

4 – ويجب أن يراعي تطوير المناهج بما يتوافق مع مراحل نمو التلميذ ، وقدراته ، وحاجاته .

5 – كما يجب الاهتمام بالتوجيه والارشاد النفسي ، والتربوي ، والمهني ، والأسري والزواجي للفرد .

6 – ويجب الاهتمام بالربط بين مشكلات السلوك ونمط النمو .

---

[1] (1) قطامي ، د. فايز وعسكر ، د. علي / مدخل إلى علم النفس التربوي / ملخص / ص 67-68 .

7 – الاهتمام بدور الوراثة في تحديد امكانيات النمو ، وكذلك البيئة التي لهـا دور كبير فيه أيضا ، وذلك من دون أن ننسى الفروق الفردية الموجودة بين كل إنسان وآخر .))[1]

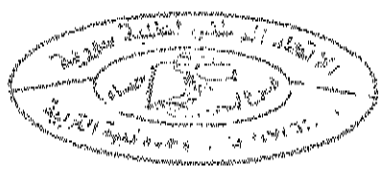

---

(1) ـ [illegible] / علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) / ص 66-67